تَوظيف "مَنْهَج الاستغراب" في الدراسَات التاريخيّة العَرَبيَّة

أ.م. د. طالب محيبس حسن الوائلي / كلية التربية / جامعة واسط

شاعت في السنوات الأخيرة في مؤسساتنا الأكاديمية والثقافية بعض الدراسات التي خلت من الحيوية ولا تواكب هموم المجتمع أو تتفاعل معها، بسبب حرص القائمين عليها في الغالب على كسب رضا المرجعيات الاجتماعية والسياسية المستفيدة من الأوضاع الراهنة، بل وتملقها أحيانا، أو تصميم موضوعات تتلاءم مع المستوى المتدني لوعي المرجعيات الثقافية المهيمنة على المؤسسات الثقافية والعلمية، فأخذت هذه الدراسات مكانها الطبيعي في الأدراج العالية البعيدة للمكتبات، على الرغم من جهود كبيرة بذلت في سبيل انجازها، وأموال أنفقت عليها، فتجسد اغلب النتاج الفكري مسالما اجتماعياً وسياسياً، يوزع الفضيلة الساذجة، ويبيع السائد والمرغوب من الأفكار، ولا يشتبك مع مؤسسة الرقابة عبر التصادم مع بنية الدولة ومخرجاتها الاجتماعية.

وبعد ثورة المعلومات والإعلام وما أعقبهما من سقوط فكرة العقائد الشمولية، واستلام الشعوب بعض زمام أمرها، أمسى من الضروري أن تستجيب المرجعيات الثقافية والعلمية لحاجة مجتمعاتها وتحسن اختيار موضوعات المشاريع التي تبحر فيها بما يمكن أن يقدم رؤى ومعالجات لأوضاع ومشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية تعاني منها الأمة. وهو ما جربّه الغربيون قبلنا أثناء مراحل بناء مشروعهم الحضاري.

فقد انتهت الدورة الحضارية للمسيرة الإنسانية باستحواذ الغرب بمفاهيمه وعلومه على عالم اليوم، وأمسى مسارنا مقيداً بالتناغم مع الأنموذج الحضاري الغربي إلى حد كبير، وحين نضع أيدينا على مكامن الضعف والخلل في أنموذجنا العربي، نلاحظ حاجته الدائمة إلى استشراف نظيره الغربي الثابت من حيث الكينونة والديمومة، وهذه لوحدها نقطة ضعف كبرى تجبرنا على اجترار نتاجات الغرب لإعادة امتثالها في أفضل الظروف، لذا فليس سهلا إيجاد ثوابت ومنطلقات خاصة بنا تضفي خصوصية على كياننا الحاضر ما لم تتوافر النوايا والإمكانات، والخطط السياسية والاقتصادية التي تمنحنا مضماراً مستقلاً عن الغرب يضعنا في المكان الصحيح في مسار الحضارة البشرية.

لكن لنا في خطوات الغرب نحو مدارج الرقي الحضاري قرائن على إمكانية تحقيق هذا الهدف، فالغرب خاض مضمار النهضة العسير على الصعد كافة واستخدم مختلف الوسائل ليهيمن على سواه، بدءاً بامتثال ثوابت حضاراته الكلاسيكية اليونانية والرومانية، وإعادة إنتاجها بالكيفية التي تهيئ شطراً من مقومات التطور لأوربا. وما لبث أن اختط منهجية خاصة به طبقها في جميع المجالات، فأجاد

وأبدع، وأصبح أنموذجه ومنهجه معياراً للرُقيْ وقانوناً للتطور استشرفه الآخرون بصورة أو بأخرى، واستخدم شتى الوسائل بغض النظر عن مشروعيتها لبلوغ مرامه، فكانت منها الاستكشافات الجغرافية والاستشراق والاستعمار والغزو الثقافي مرورا بالعولمة والنظام الدولي الجديد، والقائمة تطول.

ولعل اخطر ما حققه الغرب هيمنته الثقافية على غيره من الأمم، وتشكيل شخصيات مثقفيها وتوجهاتهم ورؤاهم على وفق إرادته، حتى أمسى مثقفوها يرون في خلق أنموذج مغاير للغرب أو متمايز عنه أمراً يعاب عليه، وهو مؤشر على استحواذ المنظومة الثقافية للغرب إلى الحد الذي أطّرت أفكار مثقفينا وتوجهاتهم بطابعها، فأضحوا لا يفكرون مجرد التفكير في التمايز عنها، ولا يجدون محيصاً عن أنموذجها وسبيلاً إلى سواه.

كان الاستشراق من بين المؤسسات التي سخرها الغرب لاكتشاف عبقرية الآخر وأسباب هيمنته، فتمكن من استعادة وديعته التي استودعها الشرق، ونقصد به تراثه الفكري اليوناني والروماني، ووجد أن الشرق قد حفظ الوديعة وزاد عليها من عصارة فكر أبنائه وفلاسفته، كما تمكن في ضوء معرفة الآخر بعمق من التعرف على ذاته، فحين سبر مفكرو الغرب أغوار الحضارة العربية الإسلامية، تداعوا لبناء مشروعهم الحضاري الخاص بهم مع الحفاظ على خصوصيتهم وثوابتهم، ولما كان الفكر حراً وتطوره قانوناً، ارتأينا محاولة توظيف علم الاستغراب في دراسة الكيفية المناسبة لخوض ما خاضه الغربيون، ليكون منطلقا لإشغال الحيز الذي نتمناه في عالم اليوم. بعد أن انتهى الاستشراق بمراحله المختلفة ومدارسه المتعددة بنتائج معروفة وانجازات باهرة، حين سخرته المؤسسات الغربية خدمة لمصالحها.

فنحاول في دراستنا هذه تقديم تعريف موجز لمفهوم "الاستغراب"، وضروراته، وتطبيقه على دراساتنا التاريخية العربية، من خلال استعراض قضية النهضة الايطالية، بوصفها منطلقا للنهضة الأوربية، في ضوء أراء بعض مؤرخينا ومقارنة هذه الآراء ببعضها، بمباحث تتضمن قراءتهم لأسباب ظهور النهضة، وخصائصها، وقراءة في إسهامات روّادها، ونتائج النهضة، وانتشارها خارج ايطاليا ثم تراجعها، ومن ثم متابعة انعكاس دراسة تاريخ النهضة الايطالية في تلمس ملامح مشروع نهضوي عربي. لنخلص إلى محاولة تشخيص ملامح المشروع النهضوي العربي. ورؤاه المستقبلية، إذ نعتقد جازمين أنه يمكن أن تصب هذه القراءات إذا ما تم تقويمها وتصويبها واستخلاص نتائجها في إعادة قراءة معمقة لمشروع النهضة العربية.

تمهيد. توظيف "منهج الاستغراب" في الدراسات التاريخية العربية:

يتبادر في البداية سؤال مفاده: أين انتهى الاستشراق Orientalism[1]؟ ومن أين يبدأ الاستغراب Occidentalism، كي نحدد إلى أين يمكن أن ينتهي، لا بصيغة الفعل ورد الفعل، بل بدورة حضارية تنتقل فيها الثقافة والتراث من أمة إلى أخرى، فتداول الحضارات بين بلدان الشرق الموغلة في القدم، ومن ثم اليونان والرومان، ثم الحضارة الإسلامية، فالغربية الحديثة، يطرح طموحا مشروعا هو: هل سيعود الشرق بأنموذج حضاري جديد يأخذ زمام الثقافة والمدنية، ويتحول إلى مركز إشعاع إنساني.

فمفهوم الاستغراب يقتضي فهم الغرب بعيون الشرق بمنهجية خاصة به يجدر بنا بناءها انطلاقا من واقعنا وثقافتنا العربية الإسلامية ومفاهيمنا الشرقية قبل ولوج حضارة الآخر ودراستها. وينبغي أن تكون تلك الدراسة معمقة لما حدث في الغرب إبان نهضته، ومناقشتها بتأن لتتبع التغييرات التي حصلت للغربيين حتى أوصلتهم للنهضة، ولماذا حدثت تلك التغييرات؟ وما هي نتائجها؟ أي علينا سبر أغوار الغرب وفهم كينونته وفلسفته بما يضفي شيئاً جديداً على ما ذكره الأوربيون، ويبلور منهجيتنا المستقلة بوصفها مقدمة لنهضة شرقية خاصة تنهي نظام الأحادية الثقافية إلى نظام التلاقح الثقافي Cultural Fertilization أو المثاقفة Acculturation[2].

بقيت ملاحظة مهمة تتضح معها بجلاء أهمية مشروع الاستغراب، هي أننا ينبغي أن نسلك في البحث عن مبتغانا ما نسميه (الاستغراب المتحرك)، ذلك أن أوربا بدأت منذ عدة قرون بإنشاء مراكز ومعاهد وأقسام علمية وخصصت عدداً من أبنائها لدراسة الشعوب والأمم الأخرى جميعها، فكما أن لديها أقساماً لدراسة العالم الإسلامي فلديها أيضا متخصصين في الصينيات وفي دراسة اليابان، بل إن كل دولة أوروبية تقوم بدراسة الدول الأوروبية الأخرى، فمثلاً لدى بريطانيا (جامعة لندن) معهد الدراسات الأمريكية الذي يمنح درجة الماجستير في دراسة الولايات المتحدة الأمريكية[3]. إذن لا بد أن نلتفت إلى حقيقة أن الغرب الجغرافي لم يعد بالضرورة هو الغرب الحضاري نفسه، لأن قيمه الحضارية ربما نجدها في أماكن أخرى قريبة من بلادنا، كما لا ينبغي أن تقتصر فكرة "الاستغراب" على دراسة الحضارة الأوربية والأمريكية، لوجود تجارب حضارية مهمة في بلدان أخرى في شرقي آسيا وأمريكا الجنوبية وحتى إفريقيا يمكن دراستها والإفادة منها.

لكن هل هناك مفكر عربي حتى الآن درس الغرب بعمق كما درس المستشرقون الشرق[4]؟ وهل هناك حاضنة معرفية عربية تكون منطلقا لدراسة الغرب؟ ثم هل امتلك المستغربون أدوات تجعل استغرابهم مثمرا وأصيلاً؟ أم أن دارسي الغرب تأثروا بأدواته ومنطلقاته وتفاسيره ومناهجه؟ بمعنى أن

الشطر الأعظم من مكونات تفكير الدارسين، متأثر بصورة أو بأخرى بالحضارة الغربية المعاصرة، التي تلقوا تفاصيلها وسماتها بأطوار شتى بدءاً من الكتب والصحف والدوريات مروراً بالنظريات والمخترعات وانتهاءً بالإعلام والاقتصاد والسياسة وسواها.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل يمتلك العرب كيانا معرفيا ينطلق منه الاستغراب؟ وهل بلغ سن الرشد الملائم لولوج حضارة الغرب التي ينبغي فيها لكي تدرس الأخر؛ أن تعرف من أنت، باعتبار أن تعرفك على كيانك ضروري لفهم الآخر، وإلا فكيف تدرسه وأنت لست شيئاً واضح المعالم؟ إلا إذا درسته دراسة التلميذ للأستاذ كخطوة أولى نحو نهل معارفه ثم صهرها في شرقيتك، عروبتك، دينك، فلا تستطيع أن تكون مستغرباً تخوض في معالم كيان عملاق بإمكانات متواضعة، وهذا يقود إلى حقيقة أن الغرب درسنا في الوقت المناسب، وقت خمولنا وضعفنا بحركة استشراقية واعية متنوعة، فهل الوقت مناسب الآن لدراسته كما درسنا؟ ثم هل لدى الشرق الآن أنموذج حضاري معاصر متمايز عن الغرب تمكن من خلقه كي تبدأ حركة الاستغراب؟ أو لعلها بدأت فعلاً؟ فلكي لا يفشل الاستغراب؛ فإن على المستغربين أن يمتلكوا إجابات لهذه التساؤلات.

لقد تصدى بعض المفكرين للخوض في دراسة تأسيسية لمنهج الاستغراب ودراسة أبعاده وظروف نجاحه، وفي مقدمتهم (د. حسن حنفي) أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة الذي حلق بعيداً في هذا المنهج انطلاقاً من الخصوصية الحضارية للشرق[5]. وقدم مبررات مختلفة لنشأة هذا العلم منها محاولة القضاء على المركزية الأوروبية، فقراءة الغرب من منظور الأنا يخلصنا من عقدة الشعور بالدونية تجاهه، لأننا بذلك سنضعه داخل بيئته الخاصة، إلى جانب تجاوز التصور السائد الذي يجعل الثقافة الغربية إطارا مرجعيا لقراءة الموروث العربي والإسلامي، وهو يرى في منهج القراءة هذا ضربا من التغريب النظري والمنهجي، والتعبير عن موقف معرفي موضوعي محايد في النظر إلى الآخر، فأنا الاستغراب في نظره أكثر نزاهة وموضوعية وحيادا من أنا الاستشراق، ومن ثم التوق إلى أن ينشأ عن علم الاستغراب علم جديد يتجرد من داء العنصرية الدفين الذي ارتبط بالوعي الأوروبي[6]. فالاستغراب بهذا المعنى إذن آلية من آليات الدفاع عن الذات والهوية الساكنة، وهو رد فعل من جنس الفعل ذاته في مجابهة الاستشراق، ولا يشترط تحقق الأنا في هذا المشروع أن يتقهقر الغرب أو أن يعود إلى تخلفه، وأن يتخلى عن ريادته الحضارية. فالعلاقة بين الشرق والغرب من هذا المنظور مبنية على أن يتحقق أحدهما بوجود الآخر.

فيما دعا (د. محمد عابد الجابري) أستاذ الفلسفة في كلية الآداب/ جامعة الرباط بالمغرب، إلى إعادة هيكلة العقل العربي بوصفها خطوة أولى نحو خلق نهضة معاصرة، بيد أن الجابري وقع في

إشكاليات في دعوته إلى الاستغراب، أبرزها انه قسم العقل العربي إلى مشرقي فلسفي يجتر ذاته، ومغربي استدلالي يحاكي النمط الغربي، وهو بهذا حكم مقدماً على العقل العربي الشرقي بالفشل في تحقيق نهضة حقيقية، فالفكر العربي عنده قائم على الركود التاريخي واجترار ذاته باستمرار، في حين أن الفكر الأوربي قائم على العقلانية والتقدم التاريخي، وهو المسؤول عن تفسير عملية التقدم في التجربتين اليونانية القديمة والأوربية الحديثة منذ القرن الخامس عشر[7]، ومع أن الجابري انتقد تأثر الفكر العربي التام بالفكر الأوربي حين ذكر انه في حقبته الراهنة يمثل بنية مطواعة ربما إلى حد الاستجابة المباشرة من عملية تدفق متسارعة باتجاهه من لدن التيارات الفكرية النظرية والمنهجية المنحدرة من الغرب الأمريكي والأوربي، لكنه ناقض نفسه حين ذكر أن الحل يقضي "المزاوجة بين المنهج البنيوي والمنهج التاريخي والطرح الإيديولوجي الواعي لتحقيق الأساس المنهجي للرؤية التي نحاول اعتمادها في معالجة بعض مشاكلنا"[8].

ولعل في استشكال المفكر السوري الطيب تيزيني على بعض طروحات الجابري فرصة، لتمحيص أسس ذلك المنهج ومنطلقاته، وتلاقح أفكاره بصورة تُعطي زخماً لتطور منهج الاستغراب، فالطيب تيزيني ينتقد دعوة الجابري إلى "إعادة تركيب العقل العربي بمناهج غربية جاهزة"، ويتساءل: "كيف يمكن أن يكون هنالك استقلالا فكريا عن الغرب بمناهج غربية، بمعنى أن الجابري يود الاستقلال عن الغرب بأدوات الغرب ومناهجه، وهو تناقض لا يدل على استقلال الفكر العربي، ولا على التفاعل بين العرب والغرب، بل على الاقتباس عن الغرب في الانفلات منه"[9]، ثم يخلص إلى القول: "أن الجابري يسلك مسلكاً وعراً... قد هُيئ له بأقلام مجموعة من المستشرقين... فالتحدث عن عقل عربي معياري اختزالي، وعقل أوربي موضوعي تحليلي تركيبي شأن من شؤون نزعة مركزية أوربية مقيتة... غدا أمرها مفتضحاً على الصعيدين العلمي البحثي والإنساني"[10].

أما الباحث المصري احمد الشيخ فهو في لقاءاته وحواراته مع عشرات المستشرقين يصل إلى أن ثمة اختلاف بين الاستشراق والاستغراب في المنطلقات والحيثيات والأهداف، فالاستشراق بداية استهدف فهم الشرق لتسهيل مهمة اختراق الغرب له، وأن الأهداف الاستعمارية الاستحواذية كانت واضحة فيه إلى حد كبير، كما أن الغرب كذات دارس كان قوياً ومهيمناً على الشرق سياسياً واقتصادياً وعلمياً، الأمر الذي سهل مهمة الاستشراق ووسع آفاقها إلى حد كبير، بينما لا ترنو أهداف الاستغراب إلى استغلال الغرب بقدر ما تود التحرر منه كذات مهيمن، وخلق البنية الملائمة لخلق كيان عربي مكافئ للغرب وشريك له في مضمار الحضارة، كما أن الكثير من الدراسات الاستشراقية امتلكت رؤية قوية

وواضحة للموضوعات المدروسة، على عكس الدراسات الشرقية لجوانب الحضارة الغربية التي قلما انطلقت من رؤية وخصوصية شرقية متميزة[11].

فالاستغراب إذن هو العلم الذي يختص بدراسة الغرب (أوروبا الغربية والشرقية والولايات المتحدة وروسيا) من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، والثقافية...الخ، وطلب علومه. وهنا لابد من التنبيه أن دراسة الغرب بشكل سردي ليست استغراباً، بل هي استجلاء الغرب بأدواته، وكما يود هو أن يُبحث، من خلال تناوله بعيون ومناهج غربية ومحاكاة تامة لما كتب عن نفسه، وهو ما أصطلح عليه التغريب Westernization، الذي يعني محاولة فرض الفكر والمناهج الغربية في شتى مجالات الحياة على الشعوب الشرقية ومحاولة سلخ الشعوب من هويتها الأصلية. فأطلق على دعاته المتغربون، أما المستغرب فهو الذي تعمق بدراسة الغرب دون التنازل عن الذات. بغض النظر عن نقاط الاتفاق والاختلاف مع هذه الرؤى، وما تحمله أحيانا من تناقض بين دعاة الاستغراب، لكنها تعكس واقعاً لتوجه جديد نحو دراسة الغرب، لما يستكمل أطره أو تتبلور مفاهيمه بعد، لكنها تبقى مجرد دعوات ورؤى قائمة على التنظير ما لم تُحتَضَنْ وتُرفد بإمكانات هائلة، وتوجه علمي جاد يهدف إلى نهضة عربية واعدة، وتؤطر بمؤسسات علمية رصينة.

ومن ثم فإن منهج الاستغراب بعد تطويره واستكمال أطره وأدواته يعني تحويل الغرب من ذات دارس ومهيمن بأنموذجه الحضاري وإمكاناته العلمية والاقتصادية، إلى ذات مدروس، يُحرص على خلق منهجية ومستلزمات تنحو إلى تفكيك رموز نهضته وطلاسمها، للتعرف على أسباب تفوقه الحالي، وتمكن من التفاعل معه، وأخذ تجربته بنظر الاعتبار، في محاولة خلق أنموذج نهضوي . افتراضي . عربي، مع التركيز على الإفادة من التجربة الغربية دون اقتباسها تماماً، بل إخضاعها لتجربة حضارية عربية تُستحضر أسسها وثوابتها وخصوصيتها الحضارية عند الإفادة من الأنموذج النهضوي الغربي، ومراعاة إعادة هضم العلوم والآداب والمعارف الكلاسيكية العربية التي درسها المستشرقون وفهمها برؤية جديدة، وصولاً إلى تحقيق نوع من البنية المعرفية لذاتنا وجوهر حضارتنا بوصفه نقطة أولى نحو الانطلاق إلى الخطوة الأخرى التي تتمحور حول فهم واستجلاء كيفية تمكن الغرب من الاستفادة من العلوم الكلاسيكية الشرقية وسواها، على عكس الشرق، والحرص الشديد بعدها على دراسة الغرب وحضارته المعاصرة بمفاصلها كافة بمنهج المدقق الممحص لا المقلد المقتبس، مع مراعاة الإفادة من عناصر نهضته التي قد تفيد في تحقيق نهضة خاصة كما فعل هو سابقا.

لكن ذلك كله . باختصار شديد . لا يحدث إلا إذا توافرت الإمكانات المادية والعلمية الهائلة، لحركة استغرابية مُمَنهجة تسير على وفق مخطط صحيح متسلسل، تضم مجاميع بحثية في شتى المعارف في

مراكز دراسات متخصصة لها رؤى وأهداف طموحة، وإمكانات ووسائل ناجحة لتحقيقها، إلى الحد الذي يؤسس لبنية تحتية تمكن من تدشين نهضة خاصة تراعي الخصوصية والإمكانات، وتعطي العرب دوراً عالمياً كمحور شريك للغرب، مع إمكانية التفاعل مع عناصر القوة والتطور في حضارة الغرب بصورة متوازنة يكون فيه الاتصال أشبه بالتفاعل لا الامتثال، فالرؤية والمنهجية والوسائل والأهداف، وسواها في مشروع الاستغراب الطموح، تقتضي جهد جمعي وإمكانات مادية ومعرفية هائلة وعصارة خبرات أجيال، وزمناً ليس بالقليل لتحقيق نسبة من النجاح في هذا الأمر. وما لم يكن لهذا الاستغراب نظرية ووسائل وجهات رسمية وثقافية ترعاه، سينتهي إلى الفشل، حتى لو طُرحت دراسات، ووضعت نظريات حوله، وإلا ما فائدة دراسات تحتويها الرفوف ولا تدخل حيز التطبيق؟ فآفة الشرق الآن أنه يتكلم ولا يطبق، وأن دراساته إن وجدت لا تجد لها مسوقاً سوى الآخر. ولابد أن نشير إلى محاولة فردية قام بها منذ أواخر تسعينيات القرن العشرين مثقفون مصريون من عائلة واحدة لإنشاء مركز عربي للدراسات الغربية، وهم أحمد الشيخ وشقيقاه صلاح وشريف[12].

تحاول هذه الدراسة التنبيه إلى نمطية معظم دراساتنا حول الغرب، وترديدها أفكار كتّابه ورؤاهم دون تمحيص، ووضعها بوصفها مُسلمات، تُقتَبَسْ من مؤرخ إلى سواه ومن دراسة إلى أخرى، بالكيفية نفسها والرتابة ذاتها، مع غياب ملكة تحليل الأحداث والتطورات الأوربية وأسباب حدوثها وتداعياتها، أو التأثر بوجهة النظر الأوربية فحسب حول تلك الأسباب، دون تكوين رؤية تعطي خصوصية للعقل العربي في تفسيره للتاريخ الأوربي، ومنهجية مميزة تعيد تفكيك نصوص ذلك التاريخ لتشكلها على وفق تفاسير جديدة أصيلة مثمرة.

وبغية تطبيق هذه الرؤية في دراساتنا العربية؛ ارتأينا توظيف "منهج الاستغراب" في زاوية مهمة من زوايا التاريخ الأوربي، هي "عصر النهضة الايطالية"، وهو العصر الذي يشبه كثيرا ما تمر به بعض مجتمعاتنا الشرقية، وتقصي إمكان الإفادة من مثل هذه القراءة في تصميم وتنفيذ مشروعنا النهضوي العربي، بدلا من القراءات النمطية التقليدية.

أولا. قراءة المؤرخين العرب لحركة النهضة الايطالية. في ضوء الدرس الجامعي:

كثيرا ما تناولت أقلام مؤرخي العرب ومفكريهم، "عصر النهضة الايطالية"، بوصفها منطلقا للتأريخ الأوربي وربما الإنساني الحديث، لما ركزته من أثر في تقدم أوربا وانتزاعها زمام قيادة ركب الحضارة من الشرق، بعد أن كانت تهيمن عليها قوى الظلام والتخلف وصكوك الغفران، فكان للمؤرخين العرب رؤاهم في تناول وقراءة عصر النهضة.

فيرى (الدكتور عبد العزيز سليمان نوار) أستاذ التاريخ وعميد كلية الآداب/ جامعة عين شمس المصرية، أن النهضة الايطاليّة ظهرت رد فعل على اجترار الكنيسة ثقافة العصور الوسطى وإخضاع مفاهيمها للتفسير الكنسي، مما دفع رواد عصر النهضة للنظر إلى الكنيسة أنها العنصر الأكثر تأثيراً في تخلف أوربا، والإيمان بأن الحضارة الحقيقية اندثرت بعد سقوط الشطر الغربي من الإمبراطورية الرومانية، لتأتي بعدها فترة سكون وجمود. بالتالي اعتقد رواد النهضة أن دورهم يتمحور في إحياء الحضارتين اليونانية والرومانية، لذا سميت حركتهم "الإحياء"، فدرسوا ما تبقى من مؤلفات اليونان والرومان في شتى الجوانب[13].

ويتفق (د. عمر عبد العزيز عمر) أستاذ التاريخ الحديث ونائب رئيس جامعة الإسكندرية المصرية معه في تفسير ظهور النهضة الايطالية، حين يؤكد أن تسلط الكنيسة على عقول المجتمع الأوربي في العصور الوسطى رسم منهج تفكيرهم على وفق رؤى الكنيسة، فـ"أخذت غالبية الناس تفكر في أن الحياة الدنيا... قنطرة يعبرون عليها للحياة الأخرى" فحسب، مما دفعهم إلى نبذ الكثير من مظاهرها، فالكنيسة والحالة تلك كانت مسؤولة عن خمول العقل الأوربي وفقدان التواصل مع تراثه اليوناني والروماني، لذا كان رد الفعل كبيراً في مطلع عصر النهضة الذي ظهرت فيه روح التشكك والنقد وازدراء العصر الوسيط إلى درجة اعتبارها مرحلة موت لأوربا، بدليل أنهم أطلقوا على نهضتهم اسم (Renaissance) إي الميلاد أو البعث أو الولادة الجديدة، ويرى (د. عمر) إن النهضة شملت جميع الاتجاهات وليس أحدها، وأنها كانت منهج حياة متكامل ناقض ما ساد في العصور الوسطى وهو المدلول العام للنهضة، وأشار إلى أن مدلولها الخاص ركّز على بعث الحضارة الكلاسيكية لليونان والرومان، وأن هذا الانتقال من العصور الوسطى نحو النهضة لم يكن سريعاً أو مفاجئاً بل استغرق مدة طويلة حدثت إبانها تحولات تدريجية بدءاً بالقرن العاشر حتى الخامس عشر[14].

ويكاد (د. شوقي الجمل) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة القاهرة أن يحاكيه في آرائه بخصوص دور الكنيسة في تحجيم العقل الأوربي، وبالتالي مسؤوليتها عما آلت إليه أوربا فكرياً في العصور الوسطى، بيد أنه يؤكد على دور العرب في إنهاض الايطاليين الذين تأثروا بالحضارة العربية لاسيما في منافذها التقليدية إلى أوربا: صقلية، الأندلس، والشرق الأدنى عموماً، بوسائل تباينت حسب الزمان والمكان والظروف السياسية، ففي الأندلس كان الاحتكاك عموماً سلمياً ومتنوعاً من خلال دراسة الأسبان على يد العرب، ومن ثم نقل خبراتهم إلى أوربا. أما في الشرق الأدنى فكانت الحروب الصليبية رغم طابعها العدائي فرصة للاطلاع على الحضارة العربية عن كثب ثم الاقتباس منها[15].

وهو ما يغاير إلى حد ما رأي (د. عبد العزيز سليمان نوار) الذي وإن أشار إلى دور العرب في النهضة الايطالية، لكنّه ذكر أن محورها المؤلفات اليونانية والرومانية فحسب، وأن دور العرب لم يتعد حفظ تلك العلوم والآداب ونقلها إلى أوربا، بوصفهم شركاء للكنيسة الكاثوليكية والقسطنطينية، اللتان قامتا بالأمر نفسه[16]. وربما فاته أن العرب المسلمين أعطوا الغرب أضعاف ما اخذوا منه، حين أسهموا في إعادة إنتاج الفكر اليوناني بالتقييم والتعليق والتقويم، فلم تُرد لهم بضاعتهم فحسب، بل زادوها أكيالا.

ومع أن (د. جوزيف نسيم يوسف) أستاذ تاريخ أوربا الوسيط في كلية الآداب/ جامعة الإسكندرية أرسل الأسس التي قادت إلى النهضة إرسال المسلمات بوصفها ظاهرة لا بد منها، مؤكداً أن القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد في أوربا شهدا تطوراً جذرياً و "أنواعاً شتى من الانقلابات التي انتفض لها كيان العالم الوسيط. لقد كان كل شيء في أوربا في تغير تدريجي مستمر... وكانت الدماء الساخنة تجري في العروق معلنة نهاية عصر وبداية عصر آخر". لكن (د. جوزيف) وافق الآخرين في عدّ البابوية سبباً رئيساً قاد إلى النهضة، بل أن (د. جوزيف) جعل البابوية وثوابت الدين المسيحي قيداً دفع الايطاليين للخروج من ربقته، ومن ثم فإنه أمسى محوراً ومنطلقاً لابراز مظاهر النهضة، وظهر ضمناً أثناء استعراض النهضة بعض منطلقاتها، فرجال الفن حاولوا التخلص من إسقاطات العصر الوسيط التي جعلت الفن مسيحياً خالصاً مستمداً من الأناجيل الأربعة وأدبيات الكنيسة، واتجهوا إلى الاقتباس من الآثار الكلاسيكية للرومان واليونان ومن الحياة الواقعية وعناصرها المتعددة بالصورة التي قادت إلى خلق فن إنساني خالص عبّر عن مشاعر وأحاسيس ومبادئ إنسانية متنوعة[17]، ونحا رواد الأدب النهضوي المنحى ذاته فخرجوا "عن التفكير المسيحي المحدود الضيق، وحاولوا التحرر من تقاليده التي كانت تحد من نشاطهم وإنتاجهم إلى حدٍ بعيد، وعادوا إلى التراث الكلاسيكي القديم محاولين إحياءه"، ووافق (د. جوزيف نسيم) الآخرين في فضل العرب على النهضة[18].

واختلفت منطلقات حصول النهضة ومسارات تطورها عند (د. هاشم صالح التكريتي) أستاذ التاريخ الحديث في كليّة الآداب/ جامعة بغداد وأبرز رواد المدرسة التاريخيّة العراقيّة، فمع أنّه وافق الآخرين في أن البابويّة كانت المحور الأوحد لحدوث النهضة، إلا أن ثوابت رؤيته ومحطات تفسيره تميّزت بالشموليّة والعمق، فقد نبّه إلى أن البابويّة لم تكن مجرد مؤسسة دينيّة هيمنت على عقول الناس في العصر الوسيط، بل أنّها استحوذت على المقومات الدينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والتعليميّة في أوربا، وكادت أن تطبع خصائص ذلك العصر بطابعها، إلى الحد الذي جعل البابويّة والعصر الوسيط وجهان للعملة نفسها، وعليه فإن رد فعل النهضويين لم يكن ضد

الكنيسة ذاتها؛ إنما كان رفضاً لثوابت العصر الوسيط الذي لجم الأفكار وحدد العقول والنشاطات وراكم القيود على حياة الايطاليّين، فالمسألة تجاوزت طابعها الديني إلى طابع شمولي ركّز على إبدال سمات العصر الوسيط بأخرى أكثر انفتاحاً وأوسع أفقاً، ولما كانت سمات البابويّة وثوابت العصر الوسيط في سلّة واحدة؛ انبرت البابوية لمقاومة هذا التوجه، وعليه فإن التوجه النهضوي والتوجس البابوي منه، شكّلا حراكاً حضاريّاً شاملاً كان الدين أحد محاوره فحسب[19].

فالنهضويون لم يودوا نكران المكانة الدينية للبابوية والخروج على العقائد الكاثوليكية، لكنّهم (وجلّهم من الفئات الغنيّة) أدركوا أن ديمومة رفاهيتهم تعتمد على إنهاء الانغلاق بين أوربا وتواصلها مع قارات العالم القديم، وإعادة هيكلة حضارتهم بالصورة التي تجعل أوربا نفسها مضماراً أفضل لنشاطاتهم التجارية وتوجهاتهم الثقافية، فتحمّسوا لإنهاء الانغلاق والاجترار الذي تميز به العصر الوسيط، والتحليق في أفاق رحبة لا ترى في الحياة مجرد قنطرة للعبور إلى ملكوت الرب فحسب، بل مضماراً لممارسة نشاطاتهم الإنسانية، وتحرير أفكارهم بالصورة التي تمكّنهم من معرفة ما يدور حولهم، والتمتع بنعم الحياة وصياغة دور جديد لأوربا يمكنها من الانطلاق في عالم أكثر رحابة، ويجعل الإنسان وسيلة وغاية في الوقت ذاته، لذا قرر النهضويون في بواكير نهضتهم، استلهام الفنون والعلوم الكلاسيكية (اليونانية، والرومانية)، لأنها تتوافق تماماً مع فلسفة النهضويين في الانفتاح الثقافي والاقتصادي على الحضارات الأخرى، وتمنح الايطاليين المنطلقات الثقافية والعلمية التي تمكّنهم من تدشين بنية أساسيّة أوليّة لعصر جديد. المسألة إذن – بحسب الدكتور التكريتي – لم تنطو على رفض النهضويين للكنيسة؛ بل إبدال ثوابت العصر الوسيط الرتيبة المنغلقة بالثوابت الكلاسيكية اليونانية والرومانية الأكثر استجابة لمتطلبات النهضويين وحاجاتهم، فالرجوع إلى التراث الكلاسيكي (والحال هذا) لم ينطو على تعصب أو تقليد أعمى، بل استخدام ما يتم اجتراره من الحضارات القديمة بوصفه وسيلة لولوج عصرٍ جديد[20].

وأثبت الدكتور التكريتي فرضيته السابقة بدلائل إضافيّة منها أن رواد الحركة الإنسانية التي أشرت بدء عصر النهضة، وأبرزهم المفكر والشاعر فرانشيسكو بترارك F. Pétrarque (1304–1374)، وأرازموس الهولندي Desiderius Erasmus (1469–1536)، لم يناوئا البابوية، وحاولا التوفيق بين مكانتها الدينية والأفكار الجديدة التي طُرحت في بواكير عصر النهضة[21]، ووضع الدكتور التكريتي يده على مفصل أخر غاية في الأهمية حين ذكر أن البابويّة لم تناصب المنطلقات النهضوية العداء بل حاولت الاستحواذ عليها وتطويعها بما يخدم أهداف الكنيسة ووضع مسارات النهضة وتوجهاتها بيد البابوية، من خلال تدشينها ما عُرِفَ بالحركة المدرسيّة منذ القرن الثاني عشر

التي عرفت أيضا بالنهضة الثانية أو الفلسفة المدرسية، وهي تشير إلى الحركة الفكرية التي شاعت في أوربا خلال القرون (11-15)، وتلخصت أهدافها في الدفاع عن المسيحية عن طريق العقل والمنطق الصوري أو محاكاة المنطق الكلامي، وثانيا تنمية قوة المناقشة والجدل والبحث عن المعلومات والمعارف المنسقة، وكان لهذه الحركة دور في إنشاء الجامعات[22]، وانصبت جهودها حول إشراف البابوية على تلقي الأوربيين علوم اليونان والرومان وثقافاتهم، بالصورة التي تتوافق مع رؤية الكنيسة وأهدافها، ولهذه الحقيقة بعدين: أولهما أنها دليل إضافي على ما ذهب إليه الدكتور التكريتي من عدم وجود عداء مباشر بين النهضويين في بواكيرهم الأولى والبابوية؛ بل تفاعل حذر ركّز على رؤية مشتركة بين البابوية ورواد النهضة، وثانيهما أن البابوية أدركت عدم قدرتها على وأد الانتقال إلى عصر جديد فقررت تطويعه بما يتواءم مع ثوابتها من خلال الإشراف على مساراته وتوجهات أقطابه، لكن تلك المعادلة سرعان ما أُصيبت بمقتل لوجود اختلافات جذرية بين أهداف النهضويين ورؤى البابوية، كما أن الإشراف والتطويع والهيمنة كانا من أهم العوامل التي دفعت النهضويين للخلاص من ارث الكنيسة وولوج تجربة النهضة، ومن ثم أبى النهضويون الوقوع في شرك الكنيسة ثانية، لأنها جسدت العصر الوسيط بأشكاله كلها، وافتقدت إلى القدرة على منح الايطاليين منطلقات عصر أخر، إلا إذا غيّرت الكنيسة ثوابتها بما يتفق مع ذلك التغيير. بمعنى أن النهضويين أرادوا تطويع الكنيسة للنهضة لا تطويع النهضة للكنيسة، وهنا حدث الطلاق بين البابوية والنهضويين[23].

ولا غرو بعدها أن يجعل الإنسانيون الأدب الدنيوي محوراً لدراستهم، وان يخوضوا قدماً في صراع لا متناه مع البابوية، الأمر الذي يدفعنا للاعتقاد أن أراء الدكتور التكريتي وفرضياته حول بواكير عصر النهضة تميزت بالأصالة والمنطلقات الصحيحة التي انتهت إلى نتائج دقيقة.

وواكبه جزئياً (د. فلاح حسن الأسدي) أستاذ تاريخ أوربا الوسيط في الجامعة المستنصرية حين بيّن أن علاقة الإنسان بدينه وكنيسته لم يخف بريقها في عصر النهضة، لكن مفهومه إلى ذاته وعلاقته بالكون غاير المفهوم الكنسي الذي ساد العصر الوسيط وفسّر علاقات الإنسان المادية والروحية تفسيراً دينياً، فالنهضة غيّرت مفهوم الإنسان إلى نفسه وحولته من عضو في جماعة إلى محور العلوم والفنون والآداب، "بحيث برز الإنسان كمخلوق له وقاره وكرامته بذاته وليس عنصراً ثانوياً وهامشياً يعيش الحياة الديرية وجمعيات الرهبان ومجتمع الإقطاع والفروسية"[24].

وبيّن (د. إبراهيم خليل العلاف) أستاذ التاريخ الحديث ومدير مركز الدراسات الإقليمية في جامعة الموصل، أثر البابوية على النهضة وأشار إلى أن هناك ارتباط بين ضعف البابوية وظهور النهضة، مركّزا على محورين في إثبات هذا الرأي، أولهما أن الايطاليين اطّلعوا على الكثير من دخائل البابوية

ومفاسدها، أما الأمر الثاني فتجلى في دفعهم ثمناً باهضاً بسبب تلك المساوئ التي لم يستطيعوا أمامها حراكاً إبان قوة البابوية وتسلطها على عقول الكثير منهم وامتلاكها الموارد والسلطتين السياسية والدينية التي مكّنتها من كبح جماحهم من خلال "قرارات الحرمان وصكوك الغفران"، فتولّد كبت شديد بسبب ذلك تفجر بقوة بعد ضعف البابوية وتراخي قبضتها عليهم[25].

أما (د. عبد المناف النداوي) أستاذ التاريخ الحديث في جامعة الحديدة بالجمهورية اليمنية، فيرى في البابوية ردّ فعل للعصر الذي تعايشه، فتزمتها في العصر الوسيط أضفى على تخلف أوربا وقعاً اشتدت وطأته وتطاول مداه، لكنها "أخذت تهتم منذ أواخر العصور الوسطى بتشجيع العلماء ورعاية الفنون والآداب"، ولعل من بين الأسباب الأخرى التي دفعت البابوية إلى ذلك بحسب (د. النداوي) فقدان هيمنتها على مراكز القرار السياسي وحدوث "تراجع في دور الكنيسة لصالح الدور المتنامي والقوي للسلطات الحكومية"[26]. ويتوسع زميله (د. اسعد زيدان الجواري) أستاذ التاريخ في الجامعة نفسها، في بيان أثر الكنيسة ومساوئها في ظهور النهضة، فيذكر أن: "النهضة ظهرت بعد أن فاحت رائحة المفاسد في مؤسسات الكنيسة بدءاً بالبابا نزولا إلى القساوسة والرهبان وحتى صغار رجال الدين, ولم يعد بالإمكان السيطرة على دعوات الناس من أجل الإصلاح والتغيير والقضاء على المفاسد في مؤسسة الكنيسة الكاثوليكية، ومما زاد الطين بلّة قيام رجال الدين بتعيين أقاربهم في الوظائف الدينية وركونهم إلى حياة الإسراف والبذخ وصرف الأموال وبناء القصور والكنائس والكاتدرائيات والأديرة وإضفاء مظاهر الزينة والزخرفة في بنائها, في الوقت الذي تركوا فيه واجباتهم الدينية وأنابوا صغار رجال الدين لتنفيذ كثير منها"[27].

لكن (الدكتور الجواري) غاير سواه من المؤرخين عندما أشار إلى عامل محوري غير محسوس في حصول النهضة، مفاده أن هناك علاقة عكسية بين الكنيسة والنهضة، فضعف الكنيسة وترنحها أواخر العصر الوسيط وفّر الظروف المناسبة لاستكمال شروط انطلاق النهضة وسبل ديمومتها، ومن المفيد تتبع تحليل كنه تلك العلاقة بين الأمرين على لسان (الدكتور الجواري) لاسيما وصفه النهضة أنها: "إبداع العقل الايطالي المتحرر من براثن العصور الوسطى, و... تمرد وثورة وانقضاض على واقع مزر متخلف...، انعتاق من قيود الكنيسة الكاثوليكية وسطوتها التي دمرت العقل الايطالي وتركته مترنحا تحت وابل من الخرافات الدينية والعقائد المستحدثة التي روّج لها رجال الدين الغارقين بالفساد حتى النخاع والمتلذذين بنعمة العيش الرغيد على حساب بؤس الفقراء وتعاستهم, الأمر الذي جعل الكيل يطفح لدى أولئك الذين ساورهم الشك والريبة ودفعهم إلى رفع راية الاحتجاج والانقلاب على الواقع ... وفصل الدين عن الدولة, وتحرير العقل"، ويعطينا (الجواري) منطلقاً آخر لحدوث النهضة

يقوم على أساس قانون التطور بالصورة التي لم تستطع الكنيسة احتوائها، "فحتمية التغيير الذي فرضته المرحلة التاريخية التي نمت فيها الحريات وتحرر خلالها العقل الايطالي كانت من القوة بمكان يصعب فيها على الكنيسة الوقوف ضد تيار التغيير الجارف الذي اكتسح فيما بعد الولاية البابوية في عقر دارها"[28].

إلا أن (الدكتور الجواري) لم يتطرق إلى روافد تلك النهضة، ولم يمنح العرب حيزاً في حدوثها. على عكس (د. عمر عبد العزيز عمر) الذي حاول تأكيد محورية العرب في حدوث النهضة الايطالية، إلى حد تجاهل سواه من العوامل والمؤثرات، حين قال: "لولا العرب لكان من الممكن أن يقضى على كل ما تركه اليونان والرومان من حضارات قديمة وتراث أنساني عظيم... بعد أن أضافوا إليها الكثير مما توصلوا إليه في الفنون والعلوم المختلفة، وكانوا بذلك حلقة الاتصال بين حضارة العصور القديمة والعصور الحديثة"[29]. وهو عين ما أسهب فيه المؤرخ العراقي (السيد علي حيدر سليمان)، حين أشار إلى أن المدنيّة الإسلاميّة أثرت في النهضة الغربيّة من خلال قنوات مختلفة وباختصاصات متنوعة[30].

والواقع أن العرب أنفسهم لم يدركوا مقدار إسهامهم في النهضة الايطالية، فيؤكد (د. حسن حنفي) بدوره اثر العرب على النهضة الايطالية، لكنه يرى أن العرب رغم إسهامهم الحضاري المباشر من خلال تراثهم الإسلامي أو من خلال حفظهم التراث اليوناني والروماني لم يدركوا بعد مقدار ما قدموه من إسهام حضاري للغرب وكيف تمثل الغرب ما قدموه[31]. كما يثير حقيقة إغفال الغربيين الأثر الإسلامي في نهضتهم، والنظر للإسلام كأنه خارج الوعي الأوربي، مع أنه أثّر في أوربا خلال العصر الوسيط كما أثّر في المشرق، ويكفينا للدلالة على ذلك الاطلاع على جغرافية انتشاره التي شملت الأندلس، جنوبي ايطاليا، صقلية، كريت، اليونان، قبرص، أوربا الشرقية، والكثير من جزر البحر المتوسط، ليخلص إلى أن: "الحضارة الإسلامية بعد ترجمة علومها خاصة الفلسفة والكلام والعلوم الطبيعية والرياضية [أمست] إحدى روافد النهضة الايطالية الحديثة. وقد استطاعت قبلها التأثير على رؤية العصور الوسطى للصلة بين العقل والأيمان... وكان المسلم هو أنموذج الفيلسوف في مقابل اليهودي والنصراني، كما فعل ذلك الفرنسي بيتر ابيلارد Peter Abelard (1079 – 1142) في كتابه المشهور حوار بين يهودي ونصراني وفيلسوف (Dialogue of a Philosopher with a Jew and a Christian)"[32].

واللافت للنظر أن الشطر الأعظم من مؤرخينا أسهبوا كثيراً في إظهار اثر العرب في النهضة الايطالية، وقنوات ذلك التأثير وتداعياته، الأمر الذي يمكن أن نعده استثناءً في محاكاتهم الطرح الغربي، وميلاً إلى تأكيد السمة العربية الإسلامية في النهضة الايطالية، ولا بأس من استعراض بعض

تلك الآراء لإكمال التصور حول نظرة مؤرخينا إلى اثر الإسلام على النهضة، ومنها إشادة الكاتب السوري (هاني المبارك) بفضل العرب وإشارته إلى أن أثرهم لم يقتصر على نقل كنوز الإغريق والرومان كما ادّعى النهضويون، فأثر العرب تعدى "حفاظهم على التراث الحضاري للشعوب القديمة" إلى دراسة "هذا التراث بعد ترجمته إلى العربية، وعرضه على مقاييس العقل والتجربة، وتصحيح أخطائه... ومتابعة أبحاثه ودراساته"، ليخلص إلى "أن التراث العربي الإسلامي وليس تراث اليونان هو الذي وصل إلى أوربا ... فعرفت التحرر الفكري الذي كان أهم ما يميز الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما كانت أوربا تفتقده في العصور الوسطى"[33].

ويتابعه أستاذ التاريخ الفلسطيني (د. شوقي أبو خليل) فيرى أن بداية النهضة الحقيقية للفكر الفلسفي الايطالي ارتبطت بقراءة بعض ذوي العقول النيّرة لأثار الفلاسفة المسلمين، وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي، ثم يورد أسماء بعض مفكري النهضة الذين اعتمدوا على مؤلفات الفارابي (874–950م) وابن سينا (980–1037) وابن رشد (1126م – 1198م) وسواهم من الفلاسفة المسلمين، ويسترسل في تحديد أطر تلك العلاقة بين النهضويين وعلماء المسلمين، ويقول أن القديس ألبرت الكبير St. Albert the Great (1207–1280) درس ما ترجم إلى اللاتينيّة من هذه المؤلفات بعمق، ونقل الايطالي جيراردو الكريموني Gerardus Cremonensis (1114–1187) قرابة تسعين عملاً عربياً إلى اللاتينية، كما تلاحظ أثار الفلسفة العربية الإسلامية عند القديس توما الاكويني اكبر الفلاسفة الأوربيين في القرن الثالث عشر، فقد أخذ من الفارابي برهانه كما ورد في (أراء أهل المدينة الفاضلة)، وأخذ عن ابن سينا براهينه كما هي في كتابيه (النجاة) و(الشفاء)[34].

أما ابن رشد فأستثار أفكار النهضويين بقوة، لاسيما بعد أن ترجم الاسكتلندي ميخائيل سكوت Michael Scott (1175– 1235) خلال السنوات 1228.1235 شروحه على مؤلفات أرسطو، فظهرت الحركة الرشدية اللاتينية التي ضمت أتباع فلسفة ابن رشد النهضويين، وتزعم سيجر البرابنتي Siger de Brabant (1235–1281) هذه الحركة، ورأى فيها الحقيقة العلمية الفلسفية، ليخلص (د. شوقي أبو خليل) إلى أن التيارات الكبرى في الفكر الفلسفي الأوربي في القرون (الثالث عشر حتى السادس عشر)، تدين بوجودها وآرائها الجديدة للفلاسفة العرب، ثم يستشهد بإشارة المستشرق الاسباني ميشيل اسين بلاثيوس Miguel Asín Palacios (1871–1944) إلى تأثر الكوميديا الإلهية لدانتي أليجيري Dante Alighieri (1265–1321) بالمؤلفات الإسلامية منها قصة معراج الرسول، ورسالة الغفران لأبي العلاء، وبعض مؤلفات ابن عربي، وتفصيل المستشرق آراءه . رداً على من هاجمه . في مؤلف عنوانه "الآخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية"، وهو ما أثبته الباحث

الايطالي انريكو تشرولي (Enrico Charlie) عام 1949، حين توصل إلى أن كتاب المعراج ترجم مطلع القرن الثالث عشر إلى اللاتينية والفرنسية، أي قبل ولادة دانتي، كما فتح ابن خلدون في مقدمته الباب على مصراعيه أمام فلسفة التاريخ التي تناولها شطر من النهضويين منهم مكيافيللي في كتابه الأمير[35]، لاسيما ما يتعلق بأنماط الحكم والأساليب الواجب إتباعها فيه[36]. وامتد فضل العرب المسلمين على النهضويين إلى جوانب أخرى كالرياضيات، الكيمياء وسواها من الأمور التي استرسل شوقي في تفصيلها[37].

ويبيّن (هاني المبارك) أن طرق تسرب العلوم العربية إلى ايطاليا كثيرة منها صقلية، مالطا، الأندلس، زيارة الايطاليين مقدساتهم في المشرق الإسلامي، الحروب الصليبية، تتلمذ بعض الايطاليين على يد مسلمي الأندلس، فضلاً عن تجارة البندقية وجنوا مع الشرق[38].

ويعطي (د.عبد الجليل شلبي) أمين عام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، أهمية استثنائية لصقلية في تأثر النهضويين بالحضارة العربية لأسباب منها محاذاتها ايطاليا وتفاعلها معها وضمّها ايطاليين مسيحيين وعرب مسلمين، وسيطرة المسلمين عليها أكثر من قرنين ونصف؛ حققوا أثناءها انجازات عمرانية وحضارية أثّرت كثيراً في النورمانديين الذين استولوا عليها، وحرص النورمانديون على الإفادة من علوم المسلمين ومعارفهم، فقرّبوا علمائهم حتى أمسوا ذووا نفوذ في البلاط النورماندي، بل أن الجزيرة بعد عودتها إلى النورمانديين تمسكت بالطابع الحضاري الإسلامي الذي بدا على ملوكها وشعبها، حتى أن ملوكها أجادوا العربية ولبسوا أزياء المسلمين وحاكوا نمط معيشتهم على الرغم من احتجاجات الكنيسة، وهكذا تسربت معارف المسلمين وعلومهم إلى ايطاليا ونهلوا منها ما أعطاهم دفعاً إلى التطور وزودهم بالأفكار والعلوم لتحقيقه[39].

ومع اتفاق (د. زكي صالح) أستاذ التاريخ الحديث في جامعة بغداد سابقا، مع الطروحات السابقة، لكنه يرى أنها كانت جزءاً من روافد النهضة التي أشّرت انتقال أوربا التدريجي من العصر الوسيط إلى الحديث، ويؤشر الأثر العربي في سلسلة قنوات في مقدمتها الاختراعات التي ارتقت بالنهضة كصناعة الورق التي اقتبسها الايطاليون من عرب الأندلس، والطباعة بواسطة حفر الألواح التي نقلوها من الشرق ثم طورها الألماني جون (يوهان) غوتنبرك Johannes Gutenberg (1398– 1468)، فضلاً عن الأجهزة التي سهّلت الاستكشافات الجغرافية كالإسطرلاب والبوصلة التي أخذها الايطاليون عن العرب المسلمين، وعليه فأن العرب أساس الاختراعات التي مكنّت الايطاليّين من ولوج نهضتهم بقوة، وأضاف الانتعاش التجاري زخماً إلى النهضة وثوابتها منذ تمكن الايطاليين من

الاستئثار بشطر كبير من التجارة الشرقية بالصورة التي أنعشت المدن الواقعة على طريق التجارة في ايطاليا ووسط أوربا وشماليها[40].

وليس غريباً بعد ذلك كله أن يرى الباحث الأردني (د. أيوب عيسى أبو دية) في النهضة الايطالية استمراراً للنهضة الإسلامية بعد تطويرها، ويعتقد أن العرب صانعو الحضارة الأوربية الحالية، وأن الانطلاقة العلمية التي بدأت في إيطاليا وإسبانيا وجنوبي فرنسا ارتبطت بالمحيط الجغرافي المتاخم للحضارة العربية الإسلامية، وبصرف النظر عن أهمية الأفكار التي تطرق إليها (د. أبو دية) فقد كان من الأجدى به التركيز على كيفية تطور المؤسسات العلميّة في الغرب، بدل العودة الدورية إلى إسهامات العرب في النهضة الأيطالية... على أمل أن تدرك المجتمعات العربية أهمية أثر أسلافهم بوصفه خطوة أساسية لاستعادة دورها الحضاري[41].

ومع أن (د. جورج صليبة) أستاذ العلوم العربية والإسلامية بجامعة كولومبيا جاراه جزئياً في رأيه السابق حين أكد أن النهضة الأيطالية لم تأت من فراغ، وأن العالم يدين للعلماء العرب والمسلمين بالفضل في التوصل إلى النهضة العلمية، لكنّه بيّن أنه لا يمكن القول أن العلم محدد وخالٍ من الثقافات، فعند انتقال العلم بين الحدود يتأثر بالثقافة التي يدخل عليها أو يقوم بتحويل الثقافة نفسها، فمن الممكن أن تقوم الثقافة بتطويع العلم لخدمة احتياجاتها، والعكس صحيح[42]، وهي إشارة إلى أن هنالك انتقال مستمر للعلوم بين الحضارات المختلفة بعد تطويرها وإضفاء طابع حضارة ما وإسقاطاتها عليها ثم نقلها إلى حضارة أخرى لتتفاعل العلوم وتتلاقح المعارف، فالعرب أفادوا من تراث الأمم التي سبقتهم فزادوا عليها وطوروها، وبعد أن ناءوا بحملها؛ نقلوها بأمانة إلى الأوربيين الذين توافرت الشروط الموضوعية التي مكنتهم من إكمال المشوار وإعادة امتثال تلك المعارف وتطويرها.

وسبق للأديب والمفكر المصري (الأستاذ عباس محمود العقاد) (1889-1964) أن حاول إبراز فضل العرب على النهضة الايطالية، فجعلهم المحور الأساس لتلك النهضة والآباء الروحيين لها، وهو أمر مبالغ فيه، ذلك أن الظروف الداخلية هي العامل الأبرز في إحداث التحولات المفصلية والتاريخية على الدوام، ومن المبالغة أيضا أن يتتبع جذور انجازات العرب ويرجعها إلى المصريين القدماء والسريان وسواهم من عناصر لم تكن قد تشربت بالعروبة آنذاك، أي انه يتجاوز الفرق المناطقي والاجتماعي والديني لسكان المشرق، ويصهرهم كلهم في بوتقة العرب قومياً، والإسلام دينياً، وهو ما يجانب الصواب تماماً[43].

وللباحث المغربي (د. عثمان اشقرا)[44] مع توافقه مع الطروحات السابقة، رأياً مميزاً لحدوث النهضة، فهو وإن اتفق مع سابقيه حول اثر العرب في النهضة الايطالية من خلال مظاهر أبرزها

انتشار أفكار ابن رشد وظهور الرشدية اللاتينية التي حاربتها الكنيسة واجتثت روادها بقسوة، لكن النهضة عنده لم تحصل بغتة، بل سبقتها ممهدات خلال القرن الثامن عرفت بالنهضة الكارولنجية، تلتها نهضة ثانية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، كان العرب وعلومهم مادتها الخام، ثم النهضة الأخيرة التي استوفت شروطها ومظاهرها المعروفة، فالنهضة الايطالية برأيه إذن: حدث مشترك تفاعلت داخله حضارات قديمة راسخة، أبرزها الحضارة الإسلامية، فالانبثاق هنا يلزم فهمه بمعنى الصيرورة الممتدّة وليس بمعنى الطفرة الخارقة... فأوروبا تميّزت وتفوّقت لعاملين أساسين هما: فائض قيمة ثقافي ناتج عن تلاقح ثقافي، مثّلت أيطاليا الناهضة بؤرته المركزية، وفائض قيمة اقتصاديّ ناتج عن حركيّة تجاريّة واقتصاديّة، ضخّا في شرايين أوروبا البرجوازية عنصر تطوّرها الفاعل والحي، فهناك إذن "صيرورة تراكم جدلية ممتدّة، لا عنصر قطيعة جذرية فجائية"، وتبدو "الدورة الحضارية القائمة على الأخذ والتفاعل بين الحضارات ثم الإضافة في فكرة تقسيم العصر الوسيط إلى مراحل وإعادة النظر جذريّا في تحديد مفهوم العصر الوسيط من حيث الزمن التاريخي والمضمون المعرفي، فالأمر لا يتعلّق هنا بزمن أوروبيّ واحد، لكن بتركيب أزمنة متداخلة: الزمن اليوناني الإغريقيّ، والزمن العربي الإسلاميّ، والزمن اليهودي العبريّ، والزمن الأوروبي اللاتيني"[45].

ثم يلجأ (اشقرا) إلى تلخيص رؤيته لمجمل حركة النهضة الايطالية ونتائجها في تحليل علمي رصين، فيرى أنها لم تقم في أوروبا كنوع من الاستثناء الأوروبيّ الفذّ لا سابق له ولا ممهّد، كما إنها لم تمثّل في جوهرها قطيعة مع عصر وسيط أوروبي وعالمي[46]، وهو عين ما أورده المؤرخ السوري (د. نور الدين حاطوم) (1913–2000) حين رأى أن ظهور النهضة الايطالية، وإن اتفقت من الوجهة الزمنية مع بدء العصر الحديث؛ فإن من المؤكد أن لا انقطاع بين العصر الوسيط والعصر الذي يليه، ولا شك أن النهضة والعصر الوسيط حالتان متباينتان، لكن كتوازن قام من تركيب قوى معقدة يعاكس توازناً آخر من النوع نفسه، وبين التوازنين عناصر مشتركة، لكن بنسب متفاوتة، لذا فالنهضة بعد هذا ليست إلا مفهوماً مجرداً وحالة فكرية عامة[47].

ويلمس التقييم العالي لمزايا النهضة الايطاليّة وسلبياتها عند (أشقرا)، والاستشراف الدقيق لنقاط قوتها وضعفها التي انعكست بصورة أو بأخرى على العرب المسلمين في مسألة نكران أوربا لدور العرب في نهضتهم، ومحاولة إظهارها بوصفها نتاجا أوربيّا خالصا قائما على علوم الرومان واليونان فحسب، والأخطر تعمد أوربا احتكار نتاج نهضتها ومنع العرب من تقفي أثرها وتعويدهم ملكة الاقتباس المشوه منها، أي وضع ديمومة نهضتها على أساس إفقاد العرب زمام المبادرة للاستئثار بالقوة والنفوذ عالمياً، فالنهضة الايطاليّة بحسب (عثمان أشقرا): "تلزم مقاربتها ضمن سياق ما كان عليه حال التفاعل

الثقافي العالمي في القرن الخامس عشر، وهذا عنصر قوة خارق، وواقع أوروبي مأزوم في ذاته وهذا هو عنصر ضعف حركة النهضة التي بقيت حبيسة مركزيتها الأوروبية عموما... ودخول أوربا دورة حضارية جديدة... طغى فيها ما هو مركزيّ أوروبيّ على المشترك الإنساني"، ويعطي (أشقرا) إرهاصاً لدوامة الصراع بين حضارة العرب وأوربا، وضرورة تبني وسائل مشتركة لكسر مركزيتهم والتفاعل الصحي معهم، بوسائل من بينها الاستغراب فيطرح تساؤلاً فيه جوابه، قائلاً: "لعل ما يعيشه العالم راهنا من انبعاث وتجاذب مركزيات أثنية وثقافية عدّة هو دليل على استشراء التنافر وصراع الحضارات... أم هو إعلان ملتبس عن انطلاق مسار نهضة جديدة ستنتصر فيه نزعة المشترك الإنساني على ما سواه؟"[48].

أما (د. سيار الجميل) أستاذ التاريخ الحديث والفكر المعاصر في جامعة لوكهيد الكندية، فعالج ظهور النهضة بأفق أوسع مدى، لم ينهل فيه من جانب واحد، ويضع العرب كعامل أوحد لها، وتجلى تصوره عن ظهور النهضة والعوامل التي أثرت في ظهورها وبلورتها، إذ أرجع انطلاق النهضة لعوامل تاريخية وجغرافية لدى شعوب امتلكت الوعي بثلاثة عناصر مهمّة جدا تراثيا وجغرافيا وزمانياً تفاعلت جميعا لتبدو ظاهرة النهضة متجسدة، ولها قوتها واندفاعاتها وتأثيراتها وامتداداتها، فقد جاء الانطلاق اعتمادا على الإرث القديم الذي نجح في الاستفادة من العلوم والمعارف والفلسفات القديمة التي نقلت عن العرب وإبداعاتهم في العصور الوسطى من خلال منافذ جغرافية عبر المتوسط الذي بقي دائرة مركزيّة للعالم القديم، ثم يرى أن هناك ظاهرة سبقت النهضة في القرن الخامس عشر، هي ظاهرة جغرافية حقيقية متمثلة بالاستكشافات الجغرافية، ثم يؤكد أن أية نهضة بحاجة إلى الانفتاح الواسع على العالم، فمثل هذا الانفتاح يخلق النهضة وينشرها في الأفاق، أما العنصر الثالث فيتمثل في الوعي بالزمان والحاجة إلى التطور من خلال التجديد والتغيير ونفض القديم بعد انتهاء العصور الوسطى والبدء بتشكيل العالم على أسس جديدة، فكان الانطلاق في الفنون والآداب والمسرح والفلسفات وتأسيس الجامعات والتشكيل والهندسة والاهم من هذا تغيير تفكير العالم بحيث اندفعت بعض المجتمعات للتخلص من ارث التاريخ الظالم الذي جثم على الإنسان في أوروبا قرون طوال! فكان البدء بمشروع تحرير الأذهان من ذلك الإرث الثقيل[49].

وقارب (د. ميلاد المقرحي) أستاذ التاريخ الحديث في جامعة قار يونس الليبية من سبقه في تأكيد التغيير والتطور التدريجي الذي مهّد لعصر النهضة؛ حين ذكر أن الانتقال إلى هذا العصر حدث ببطء، وكانت له ومضات وممهدات منذ العصر الوسيط، لكن أهم ما جاء به المقرحي التنبيه إلى التواصل بين العصرين، وإشارته إلى اختلال الثوابت الموضوعية التي قام عليها العصر الوسيط، ومنها

الكنيسة والنظام الإقطاعي[50]، ولو حلّلنا هذه الفكرة بروية لتوصلنا إلى حقيقة أن اختلال تلك الثوابت كانت باختصار شديد الأسس الراسخة لظهور النهضة الايطالية، فسوء ممارسة الكنيسة لمهامها الدينية وتداخلها بالمهاترات السياسية والقهر الذي سلطته على عقول الايطاليين كل ذلك نزع شطراً كبيراً من هيمنتها ونفوذها السابقين، وهيأ الظروف لظهور أفكار ودعوات مضادة لمفاهيمها العصروسطوية، فبدأ الفكر يحلق بآفاق أوسع لم تكن لتتوافر في العصر الوسيط، أما النظام الإقطاعي الذي كان توأماً للكنيسة في هيمنته على مقدرات الايطاليّين وإكمال الإطار الديني اللاهوتي بإطار اقتصادي اجتماعي، فهو أيضا فقد نقاط ارتكازه بعد أن تلقى ضربات موجعة من الملوك تساندهم الطبقة البرجوازيّة الصاعدة، وتتابعت تطورات اقتصاديّة واجتماعيّة على تغيير نمط حياة الايطاليّين وطرق تفكيرهم.

في حين استجمع (د. نعيم فرح) أستاذ التاريخ الأوربي في كلية الآداب/ جامعة دمشق، الشطر الأكبر من العوامل السابقة وأضاف إليها ما بجعبته من عوامل أخرى، بوصفها ممهدات انتهت إلى قيام النهضة، فالنهضة بحسبه نتاج خضم مراحل متسلسلة ابتدأت باضمحلال الإمبراطوريّة الرومانيّة المقدسة والبابويّة تزامناً مع انهيار النظام الإقطاعي ونظام الفروسيّة وظهور الدول واللغات القوميّة لتؤشر اضمحلال المُشكلات والمكونات الأساسيّة للعصر الوسيط، وظهور منطلقات وخصائص جديدة أبرزها التخلص من سيادة ارستقراطيّة الإقطاعيين ورجال الدين وارتقاء بعض البرجوازيين بعض المناصب السياسية ونمو ملكيات قومية اعتمدت على تأييد مواطنيها، تزامناً مع ظهور نظام اقتصادي جديد ارتكز على أساس نمو الصناعة وازدهار التجارة، الأمر الذي خلق الظروف الموضوعيّة المناسبة لولوج مرحلة انتقاليّة بين عصرين تجلّت فيها مبادئ النهضة وخصائصها وانجازاتها، ولما كانت ايطاليا الأنموذج المثالي لتلك التحولات فإنها برزت بوصفها مهد النهضة ومنطلقها[51].

ويحاكيه (د. جلال يحيى) أستاذ ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب/ جامعة المنيا المصريّة، حين يذكر أن تحولات عبّرَ عنها بالعميقة استغرقت الفترة من القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر، وأن أسبابها تنوعت بين جغرافية، اقتصادية، سياسية ومعنوية، غير أنه أشار إلى أن التغيرات الاقتصادية من نظم إقطاعية إلى رأسمالية أبرز تلك التحولات، لأنها غيّرت بنية المجتمع الأوربي وأفكاره وتوجهاته إلى حدٍ بعيد، وأفقدت مراكز القرار السابقة ثقلها وتأثيرها في الساحة الأوربية لقوى جديدةَ، لكن الدكتور يحيى لم يربط الأسباب بمسبباتها، ولم يبيّن سر تلك التحولات والقوى الدافعة لها[52]، الأمر الذي تداركته (د. ليلى الصباغ) أستاذة التاريخ الحديث في جامعة دمشق حين بيّنت أن البرجوازيين هم لولب التغيير الذي انتهى إلى حدوث النهضة، فالبرجوازيون بنظامهم الاقتصادي

المزدهر وأفكارهم الطموحة فرضوا واقعاً جديداً حطم النظام الإقطاعي الأوربي وفتح آفاقا جديدة للتطور، وكانت ايطاليا أنموذجا لهذا النظام الاقتصادي، كونها لم تتأثر بالنظام الإقطاعي إلا قليلاً، واحتكرت تجارة الشرق، وتمكنت من تدشين عقدة مواصلات ومحطات لطريقها التجاري في أوربا سرعان ما أصبحت مراكز إشعاع أشّرت نهاية العصر الوسيط[53].

ويوضح (د. كمال مظهر أحمد) أستاذ التاريخ الحديث في كلية الآداب/ جامعة بغداد، أن وراء ظهور النهضة الايطالية بعداً اقتصادياً تبلور أواخر العصر الوسيط، الذي شهد انحلال النظام الإقطاعي القائم على الاكتفاء الذاتي إلى آخر استند على تطوير وسائل الإنتاج الحرفي التي شهدت طفرات متلاحقة نجم عنها تغيّر في أنماط الإنتاج، أنعش التجارة الخارجية والداخلية وراكم رؤوس الأموال بدرجة كبيرة، ليعطي الطبقة البرجوازية الريادة التي كانت لولب تلك التحولات، وكان طبيعياً أن يقترن هذا الازدهار الاقتصادي بتحولات في شتى ميادين الحياة، وهنا يرى أن الطبقة البرجوازية كانت الأقدر في الأخذ بزمام الحركة الثقافية- العلمية- الفكرية العظيمة في عصر النهضة، "فأبناء هذه الفئة هم أكثر الناس الذين أسهموا في تطوير وسائل الإنتاج عن طريق الاختراعات الحديثة، وهم الذين قاموا بصياغة أفكار الطبقة البرجوازية في إطار فلسفي واستنبطوا النظريات"[54]، وفي تفسير آخر لريادة البرجوازية لعصر النهضة ذكر (د. كمال مظهر) أن التغييرات الكبيرة التي شهدتها المجتمعات الأوربية حتمت: "ظهور أفكار جديدة تعبر عن مصالح وتقييمات الفئات والقوى الاجتماعية التي خاضت - مضطرة- معمعان صراع مستديم مع القديم، فغدت بحاجة إلى تعابير ومنطلقات قوية تمثل واقعها وتستهدف تثبيت وتطوير مصالحها وقيمها"، وهو تفسير علمي عميق لظهور النهضة التي صُوِرَت كَنِتاج لصراع طبقي أيقظ أوربا[55].

وما يحسب لـ(د. كمال مظهر) إنه قَرنَ هذا الأمر بمؤثرات شرقية إسلامية وصلت إلى أوربا من الأندلس وصقلية وسواهما، كان لها الفضل في نقل مؤلفات كلاسيكية (إغريقية، رومانية) وعربية، فانتقلت العلوم الطبيعيّة والطبيّة والفلسفيّة إلى أصقاع أوربا المختلفة، وبالتالي فإن البعدين الاقتصادي الداخلي والإسلامي الخارجي امتزجا وتداخلا بقوة ليدشنا لذلك العهد[56].

وهو ما أشار إليه الباحث والأديب العراقي (السيد ضمد كامل وسمي) حين حاول إثبات فضل العرب المسلمين على النهضة الايطالية، مع أنه بالغ في بيان ذلك الفضل كونه ارجع إبداعات النهضة إلى الحضارة العربية الإسلامية حين عدها "المؤسس لمعظم العلوم العصرية التي قامت على أكتافها الحضارة الغربية باعتراف جهابذة الغرب ومفكريه"، بعد أن "اتصل الغرب بالحضارة العربية الإسلامية عن طريق الأندلس ثم من خلال الحروب الصليبية... بالإضافة إلى نقاط اتصال أخرى كجزيرة صقلية

والقسطنطينية في نهاية القرون الوسطى... [فـ] تجمع لديه كل التراث العالمي... لاسيما الإغريقي فضلاً عن الفارسي والهندي والصيني. والاهم من ذلك هو الإبداع العربي"[57].

والمهم في طروحات (وسمي) أنها تعدت الفرضيّات إلى قرائن أوردها للتدليل على رأيه، منها مثلاً إن الإسلام دعا إلى الاحتكام للعقل بوصفه المحرك الأساس لفلسفة عصر النهضة التي تناقضت تماماً مع عصر الكنيسة، ولم يقف الأمر عند ذاك؛ بل أن معظم علوم النهضة اقتُبست من العرب ثم طُوّرت، كالجامعات الايطالية التي حاكت الجامعات العربية في غرناطة وقرطبة، والفلسفة الأوربية التي تأثرت بفلسفة ابن رشد، واللافت للانتباه إشارته إلى أن تهاوي أركان المجتمع الإقطاعي والكنسي نشأ نتيجة استقبال مؤثرات شرقية عربية أسلامية، وهو بذلك يحاول أن يأتي ببعد جديد لنظرية (د. كمال) بإضافته المؤثرات العربية ليزاوج بين النظرية الماركسية ومفهوم المثاقفة، كما أن الطب والكيمياء والفيزياء كلها اقتبسها رواد النهضة من العرب، بل إنه يشير إلى تأثر أقطاب ما قبل النهضة الايطالية ومنهم الإيطالي توما الاكويني Thomas Aquinas (1225–1274) الذي دعا إلى الاحتكام للعقل، والإنجليزي روجر بيكون Roger Bacon (1214–1294) الذي استوعب الكثير من علوم العرب، واستشهد (وسمي) بإشارات في مواضع عدة من كتبهم ببعض المفكرين كالكندي (805–873) ابن الهيثم (965– 1040)، ابن سينا، وغيرهم، وحتى دانتي أليجيري "المبشر الأول لأفكار النهضة" كان متأثراً في رائعته (الكوميديا الإلهية) برسالة الغفران لأبي العلاء المعري (973–1057) والفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي (1164–1240)، فضلاً عن تأثر الإيطالي جيوفاني بوكاشيو Giovanni Boccaccio (1313–1375) بقصص ألف ليلة وليلة، واقتباس البولندي نيكولاس كوبرنيكوس Nicolaus Copernicus (1473–1543) ومن بعده الإيطالي غاليلو غاليلي Galileo Galilei (1564–1642) آرائهما حول كروية الأرض من علاء الدين بن الشاطر الدمشقي (1304–1375م)، ثم يحاول إثبات الأصل العربي للطباعة والورق[58].

وحتى مذهب الشك لدى رينيه ديكارت René Descartes (1596–1650) يجد له (السيد وسمي) نظيراً في أفكار الفلاسفة المسلمين كابن سينا، ابن رشد، والفارابي، ويذهب بعيداً حينما يردد ما تناقله البعض أن أقدام العرب وطأت العالم الجديد قبل كولومبس، مع فارق هو أن محاولاتهم كانت فردية اجتهادية لا مؤسساتية استعمارية، ليخلص إلى القول أن "حضارة الغرب [امتصت] رحيقها من الشرق"، لكنه أشار إلى حقيقة مهمة حين بيّن أن الغرب في الفترة الممتدة بين القرون 17.14 استوعب هذا التراث ثم طوّره وأنتجه إنتاجاً أصيلاً[59].

ولعل في هذا ما يؤكد فكرة المثاقفة والدورة الحضارية، فالعرب لظروف خاصة فقدوا القدرة على تمثل المعلومات التي بحوزتهم وإعادة إنتاجها للارتقاء في مدارج التطور وهو ما خفي على (السيد وسمي)، وإلا لماذا لم يتمكن العرب بعلومهم السابقة لما لدى أوربا، من خلق نهضة عربية تؤهلهم للريادة مع عدم نكران فضل العرب؟ وهنا نود التنبيه إلى أن العرب بعد أن قطعوا شوطاً مهماً في الحضارة؛ أدت ظروف وعوامل موضوعية إلى فقدانهم زمام المبادرة، بينما امتلك الايطاليون المقومات التي أهلتهم لاستلهام ذلك التراث والبناء عليه لتتلاقح تلك التجربة الإنسانية في دورة حضارية يمكن إدراجها كإحدى قوانين التاريخ.

خلاصة القول أن العصر الوسيط بمثله ومفاهيمه وثوابته بدأ يذوي ليتشكل من جديد، وكانت المرحلة الانتقالية وبالذات عصر النهضة الذي افاد من التحولات السابقة فَفَعّلَها ليقود إلى تدشين أسس عصر جديد غاير سابقه. وكان المؤرخ (د. ميلاد المقرحي) دقيقا للغاية فيما يخص جدلية فضل العرب على النهضة الايطالية تزامناً مع فقدانهم الكثير من مزاياها، حين بيّن أن النهضة الايطالية الحديثة ظهرت امتداداً للنهضة العربية، إلا أن النهضة العربية توقفت عن التطور في الاتجاه الذي يجعلها قادرة على أن تحقق ما كان كامناً فيها[60].

أولا. ظهور النهضة الايطالية:

حاكى المؤرخون العرب بعضهم في سبب بدء النهضة في ايطاليا، وكانت طروحاتهم عموماً ترديدا لما ذكره رواد النهضة الايطاليون ومن تلاهم، وهذا ما نجده لدى (د. زكي صالح) الذي يكاد يتفق مع (د. عبد العزيز نوار) و(د. عمر عبد العزيز) و(د. شوقي عطا الله الجمل) و (د. ميلاد المقرحي) في بيان تلك الأسباب، فجميعهم يوجزوها في: الرخاء الاقتصادي، الموقع الجغرافي المتميز لايطاليا، ماضيها الحضاري بوصفها مركزا للإمبراطورية الرومانية، قيام دويلات متنافسة فيها، طبيعة الشعب الايطالي وكونها مقر الزعامة البابوية[61]، وهو ما كرره (السيد علي حيدر سليمان) أثناء استعراضه سبب سبق ايطاليا سواها في نهضتها[62]. فمروا عليها كتحصيل حاصل؛ حين تحدثوا عن تطور اقتصادي وزراعي ورد فعل من الكنيسة، فلم يلمس المتلقي بوضوح لماذا ايطاليا؟ وما هو سر تفوقها؟، لأنهم استعرضوا هذا البعد كبديهية لا تحتاج إلى تفسير[63].

ومع أن (د. سعيد عبد الفتاح عاشور) أستاذ تاريخ أوربا في العصر الوسيط في كلية الآداب/ جامعة القاهرة، شاطرنا السؤال ذاته؛ لكن إجاباته عموماً لم تخرج عن الإطار الذي أورده سابقوه، فلايطاليا بحسب الدكتور سعيد بعدين حضاريين احدهما منحدر من كونها مركز الحضارة الرومانية بتفاصيلها كافة، والأخر أنها مستقر المقر البابوي، ومنطلق تراثه الديني والثقافي والسياسي الذي ملأ

العصر الوسيط ضجيجاً واستحوذ على الشطر الأعظم من أدواته ومقدراته، أما الموقع الجغرافي لايطاليا، والتراكم النقدي الذي شهدته إبان العصر الوسيط، واختلاف بنيتها الاقتصادية عن البنية الإقطاعية المنغلقة التي عمت أوربا فهي عوامل إضافية هيأت ايطاليا لتكون مهداً لنهضة تسدل الستار على مرتكزات العصر السابق وتقحمها في مرحلة انتقالية نحو عصر جديد[64]. ويحاكي (د. نعيم فرج) هذا التفسير، فيما عدا إشارته إلى التراكم النقدي الذي تحقق لايطاليا من خلال البابوية التي تولت سحب قسم كبير من ثروات البلدان الأوربية نحو ايطاليا بواسطة الضرائب الدينية وواردات الإقطاعيات الكنسية، فضلاً عن الأموال الطائلة التي تمخضت عن استحواذ الجمهوريات الايطالية (Italian Republics) على الشطر الأعظم من تجارة البحر المتوسط[65].

كما وهناك ملاحظات حول تناولهم أسباب ظهور النهضة في ايطاليا، أولها إنهم اختلفوا في تفسير جزئياتها، فمثلاً أورد (د. عمر عبد العزيز) سببين إضافيين يتعلقان بتنافس الدويلات الايطالية، هما: ظهور المكتبات والمجامع العلمية، مع أنه كان بإمكانه ذكرهما في التنافس كي يؤكد فرضيته التاريخية ببرهانين[66].

وتجلى المأخذ الأخر في أن بعض تفسيراتهم قابلة للتأويل إلى حد كبير لاسيما ما ذكره (د. عبد العزيز نوار) من إن الطبيعة الجغرافية لايطاليا ألهمت رجالاتها[67]، وهو أمر مهم، لكن طبيعة ايطاليا لم تكن الأجمل على صعيد أوربا، كما أن ايطاليا أصيبت بالأوبئة أكثر من سواها، لذا لابد من أن عوامل أخرى توفرت لإيطاليا كي تلهم رجالها إلى جانب العامل الجغرافي، الذي تعد نظرية ربط التطور الإنساني بالعوامل الجغرافية من أكثر نظريات تفسير التاريخ قبولا وقدما، فقد شاع بين المفكرين: أن طبيعة الأقاليم وهوائها تؤثر في ألوان البشر وأحوالهم وأخلاقهم، كما شاع أثر طبيعة الأقاليم وخيراتها ومحاصيلها وقوتها الاقتصادية في أبدان الناس وطباعهم، وقد بقيت هذه الفكرة حية إلى يومنا هذا، فقد ذهب كثير من المفكرين إلى أن شعلة التقدم الإنساني حملها سكان المناطق المعتدلة، وما يزال فئة من المفكرين تبحث عن أثر الجغرافيا (مناخ، تضاريس، موقع، طرق مواصلات، موارد) في تقدم البشرية، بل أن الحديث عن أية حادثة تاريخية دون تحديد مكانها وظروفها وإطارها الجغرافي يفقدها مميزاتها الأساسية، بمعنى آخر أن التفسير الجغرافي للتاريخ يظل أساسا مهما لإدراك أبعاد هذا التاريخ. لكن القليل من المفكرين هم الذين اخذوا بالحتمية الجغرافية، إذ لابد من وجود قواعد وعوامل أخرى تسهم في تشكيل الانجاز أو الحدث التاريخي[68].

الأمر الأخر إنهم لم يفسروا بوضوح بعض الأسباب التي قد تحمل معان متناقضة، ما لم يتم استجلائها بمنهج علمي، ويحضرنا هنا مثلاً أنهم بلا استثناء عدّوا وجود البابوية في ايطاليا عاملاً

مشجعاً على نهضتها[69]، وهو أمر معقد لا يُقبل على علاته، كون البابوية والنهضة في الغالب نقيضان كلاهما يحمل طابع عصره، وهناك براهين كثيرة لو أردنا ذلك، لكن لو فُسر وجود البابوية في ايطاليا أنه اظهر سلبياتها للايطاليين بصورة أوضح من غيرهم وكان رد فعلهم أقوى من سواهم، لكان الأمر مقنعاً إلى حدٍ ما، أما ما أورده بعضهم من أن هناك بابوات سموا بابوات النهضة كنيقولا الخامس Nicholas V (1397–1455/ 1447–1455م) وليو العاشر Leo V (1475=1521/ 1513–1521م)[70]، فهذا الأمر حصل بعد أن أصبحت النهضة آمراً واقعاً، ففكر هؤلاء البابوات أن يستفيدوا منه، أو على الأقل كان دعمهم لدعاة النهضة تم لأسباب خاصة بهم لا تمثل خطا ثابتا للمؤسسة البابوية.

وهو ما ذهب إليه الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، حين نبه إلى حقيقة مهمة مفادها أن البلاط البابوي أمسى إبان النهضة الايطالية، بلاطاً دنيوياً يحاكي بل يضاهي أفضل بلاطات أوربا، ويهتم بالتطورات المختلفة التي تحدث فيه، حتى أنه بعد فشله في وأد النهضة نافس بلاطات ايطاليا في رعاية آدابها الكلاسيكية وجوانبها الفنية والعمرانية، لاسيما في عهود بعض البابا‌وات المتنورين[71].

فيما ركز (د.عبد الحميد البطريق) على التطور التدريجي الذي قاد إلى النهضة الذي تتابعت حلقاته كردود أفعال متلاحقة ابتدأت بسعي الملوك للتخلص من النظام الإقطاعي الذي شرذم ممالكهم، تزامناً مع معاناة البرجوازيين الذين ركزوا على التجارة من هذا النظام، بالصورة التي انتهت إلى تحالف ملكي ـ برجوازي قضى على النظام الإقطاعي ليدشن لنظام بديل شجّع على ظهور المدن الحرة ذات النشاطات التجاريّة والصناعيّة، التي أنهت التقوقع الإقطاعي وضاعفت التفاعل الاقتصادي بين أجزاء أوربا المختلفة، ولم يقتصر هذا التحوّل على ايطاليا بل شمل أوربا كلها، لكن ايطاليا كانت صاحبة السبق فيه، فمكنتها ظروفها من دخول مضمار التغيير قبل غيرها، وساعدتها العلاقات التجارية الواسعة مع العرب وسواهم على تحقيق ازدهار اقتصادي فتح آفاقا واسعة لتطوير ايطاليا، اقترن بإطلاع الايطاليين على الحضارات العريقة أكثر من سواهم، وأدى التشرذم السياسي في ايطاليا وانقسامها إلى بلاطات كثيرة إلى اشتداد التنافس بين الايطاليين في الأخذ بأسباب التقدم بالصورة التي قادت إلى النهضة، وهو تحليل موضوعي للبطريق قادنا فيه إلى تطور تدريجي تضافرت فيه السياسة والاقتصاد والمعرفة على ولوج مرحلة جديدة أشرت نهاية العصر الوسيط[72].

وحاكاه (د. نور الدين حاطوم) حين بيّن أن: "النهضة صنيعة نمو البرجوازية والرأسمالية والملكية المطلقة التي ظهرت ابتداءً في العصر الوسيط في المدن التي تشكل بناؤها الاقتصادي

والاجتماعي على أساس رأسمالي، ونمت ظواهرها الأدبية والفنية والعلمية في أوساط المتمولين الذين أثروا بالتجارة والصناعة والمصارف، وفي ظل الملوك المستبدين الذين استطاعوا فرض مجتمع جديد. فهي ثمرة البلاطات والاكاديميات والحلقات والصالونات"[73]، وهكذا فإن منطلقات النهضة عند حاطوم استندت إلى هذا الثالوث الذي بتداخل عناصره وتفاعلها اوجد الظروف الموضوعية لبروزها، وإن مما لا مراء فيه أن البعد الاقتصادي والاجتماعي للنهضة فاق البعد الديني أو استحوذ عليه. وانفرد حاطوم في تقسيمه النهضة الايطالية إلى مراحل ثلاث ركزت أولاها على التهيئة والتحضير وامتزجت فيها المبادئ الوثنية والمسيحية، وكان روادها "مفعمين بالقوة والابتكار" لكن لم تتبلور لديهم رؤية واضحة لأسس النهضة، ثم مرحلة الأوج "وفيها كان التمتع بالحياة هدفاً أعلى، وكان الاتجاه منصرفاً إلى البحث الواعي عن الكمال المستمر"، وأخيراً مرحلة الأفول التي انتهت إلى "الفردية وحق البحث الحر"[74]. ثم يستعرض حاطوم بيئة النهضة الايطالية وبعدد البلاطات التي احتضنتها، ومنها آل *لتة خى* (Medici) في فلورنسا (Florence) وأدواق آل سفورزا (Sforza) في ميلانو (Milan) وآل ايست (East) في فيرارا (Ferrara) وآل مونتفليترة (Mount Veletrh) في اربينو (Arpino)، فضلاً عن ارستقراطية البندقية وجنوا وبرجوازيتهما، بل أن البابوية في ظل البابا ليو العاشر ضاهت الجميع في خوض مجالات النهضة، ومن ثم ظهر مضمار تنافس بصورة خلقت ظاهرة النهضة، أو أوجدت بنيتها التحتية في الأقل، لينتهي إلى القول أن: "ايطاليا أعطت أوربا لون النهضة". ويضعنا حاطوم في خضم جو النهضة الايطالية ويجسد حيويتها وأثرها على أوربا؛ حين يقول في موضع أخر: "وهكذا أضرمت ايطاليا نار النهضة فاحترق بها مجتمع غرب أوربا"[75]، وهنا نتساءل لماذا مجتمع غربي أوربا دون سواه؟، وهو ما يقودنا إلى أن هناك ارتباط عضوي معرفي بين ايطاليا وغربي أوربا امتلك الشروط الملائمة لارتشاف مزايا النهضة، ووصل إلى مرحلة النضج التي أمسى معها مهيئاً لامتثال مظاهر النهضة وتطويرها ثم إعادة إنتاجها إنتاجا مبتكراً وأصيلا.

ونحى (د. محمد محمد صالح) أستاذ التاريخ الحديث في جامعة بغداد، المنحى ذاته حين بيّن أن حدوث النهضة الايطالية نتاج إفرازات متعددة وتطورات غير محدودة، منها ما يتعلق ببنية المجتمع الايطالي المغاير لسواه في أمور متعددة بضمنها خروجه على النظام الإقطاعي في مراحل مبكرة من العصر الوسيط، ونبذ الكثير من مظاهره المنتشرة في أوربا كالتعليم الكنسي، والفن القوطي التقليدي، والاهم من ذلك تحول المدن الايطالية إلى محاور اقتصادية سياسية ثقافية تدور حولها الأرياف، على عكس باقي الأوربيين الذي غالبا ما كانت محاور حياتهم إقطاعية ريفية تدور حولها المدن، كما أن خروج الايطاليين من التقوقع الأوربي وتماسهم مع الحضارات الأخرى بواسطة التجارة التي أنعشتهم اقتصادياً وراكمت ثرواتهم بصورة شجعت الايطاليين على وضع بنية تحتية لنظام اقتصادي نقدي ثالوثه

التجارة والصناعة والزراعة، تزامناً مع اقتباس علوم ومعارف العرب المسلمين وما حفظوه من تراث الرومان والإغريق، بالصورة التي أعطت الايطاليين المترفين أنموذجاً حضارياً متكاملاً يمكنهم اقتباسه ثم تطويره والبناء عليه، ومن ثم فإن أسباب ظهور النهضة في ايطاليا عند (د. محمد محمد صالح) تميّزت بالتداخل والتفاعل الذي وفّر منطلقات متنوعة لظهور نهضة واعية، امتلكت مرتكزاتها المنطقية للخروج ببني جلدتها من العصر الوسيط وتراثه، لذا فأن للعرب المسلمين أثر حاسم في صعد شتى على الايطاليين وباقي الأوربيين، ليس فقط من خلال تجار البندقية وجنوا؛ بل من باقي المنافذ التقليدية للاتصال كصقلية والأندلس وغيرهما[76]، ويتميز هذا التفسير بشموله وترابط عناصره وتناغم حيثياته وتفسيره المنطقي لملابسات ظهور النهضة في ايطاليا بما يدفعنا إلى تبنيه والاقتناع بمدلولاته.

وتابعه (د. هاشم التكريتي) حين ركّز على أن ايطاليا امتلكت خصوصية أهلتها لريادة تجربة النهضة في مقدمتها أهمية موقعها الجغرافي وعمقها الحضاري الروماني واحتضانها للبابوية وازدهارها التجاري فضلا عن انفتاحها الثقافي في العصر الوسيط[77].

وكرر (د. جلال يحيى) الامر ذاته مع شيء من التفصيل حين أشار إلى أن هناك أسباباً متعددة جعلت ايطاليا منطلقاً للنهضة، في مقدمتها موقعها الجغرافي الذي جعلها في تماس مع حضارتي المسلمين وبيزنطة، ونشاطها التجاري في العصور الوسطى الذي راكم الثروة فيها وساعد على انتشار العملة وظهور المصارف، وبالتالي أدى إلى ازدهار النظام الرأسمالي وأشّر ظهور الطبقة البرجوازية وازدياد قوتها على حساب طبقة الإقطاعيين وفئة رجال الدين، فضلاً عن التغيرات الاجتماعية، ونبه إلى اثر بنية الايطاليين النفسية العاشقة للجمال والفن في ظهور النهضة وكون ايطاليا مهد الحضارة الرومانية وقيام حكومات المدن المستنيرة وأنها مقر البابوية، بيد أن من ضمن ما أورده (د. جلال يحيى) تمتع ايطاليا بفترات سلام طويلة[78]، وهو ما لا تسنده الحقيقة التاريخية التي لو استعرضناها لوجدنا أن ايطاليا كانت معتركاً ومضماراً لصراعات قوى متعددة اغلب عهودها، ويكفينا دليلا تاريخيا انه أثناء عصر النهضة حصلت الحروب الفرنسية في ايطاليا (1494–1559)[79]، والغريب أن أكثر من مؤرخ شاركه رأيه السابق[80]. أما (د. حسن حنفي) فهو بإشارته إلى إن عصر النهضة خرج من ثنايا الفكر الديني وأنه رد فعل لقيود الكنيسة يعطينا تصوراً ولو ضمناً إلى أن ايطاليا مركز النهضة[81].

ويحلل (د. إبراهيم العلاف) ثنايا هذا الرأي، فيؤكد أن "قيام النهضة في ايطاليا كان بسبب قربها من الكنيسة، فالكنيسة كانت مصدر كبت الحريات وإغراق الإنسان بتأثيرات الخطيئة الكبرى وتحميل الإنسان مسؤولية هذه الخطيئة"، وينبهنا إلى جدلية هذه العلاقة التي كانت سيفاً ذو حدين أضرّ بالايطاليين أكثر من سواهم، لكنه جعلهم أشد اطلاعاً على خروقات الكنيسة ومساوئها، وزوّدهم

بالمقومات التي جعلتهم دعاة النهضة وروادها، ويجب أن نتذكر ما كانت تصدره الكنيسة من قرارات الحرمان وصكوك الغفران، والأثر السلبي الذي تركته تلك القرارات والصكوك على الإنسان وتقييد حريته[82]. ومع اتفاق (د. عبد المناف النداوي) مع ما ردده الآخرون عن مبررات النهضة الايطالية، لكنه أضاف إليها عاملاً جديراً بالاهتمام حين أشار إلى أن ضعف الضغط العثماني على ايطاليا كان من بين الأسباب التي وفّرت مناخاً ملائماً لانبعاثها النهضوي[83].

أما تقييم (د.عبد الفتاح أبو علية) أستاذ التاريخ الحديث في جامعة محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية، لأسباب النهضة فخلص إلى القول أن النهضة "نتيجة حتمية لظهور مفاهيم جديدة ومقومات عصر جديد يوم أن لمعت في العصور الوسطى ومضات كانت تشير إلى قيام عصر جديد بأفكار جديدة ومفاهيم جديدة مختلفة عن العناصر التي سادت العصر الوسيط الإقطاعي الكنسي"[84]. بيد إن التفسير الأكثر شمولاً وقبولاً ذلك الذي أورده (د. كمال مظهر) ووفّق من خلاله إلى حل إشكالية الأسباب التي جعلت ايطاليا دون غيرها منطلقاً للنهضة؟ إذ أن ايطاليا بحسب (د. كمال مظهر) كانت بعيدة إلى حد كبير عن النظام الإقطاعي، وتهيأت لها الفرصة في العصور الوسطى للازدهار الاقتصادي، وهنا يسلط الضوء على الظروف التي أنتجت النهضة، حين يؤكد أن اقتصاديات ايطاليا المعتمدة على التجارة الخارجية تنامت كثيراً منذ القرن الحادي عشر، "لأنها احتكرت كل تجارة أوربا مع الشرق" و"لم ينته القرن الثالث عشر حتى أصبحت ايطاليا تحتل الصدارة في مختلف مجالات حياة القارة الاقتصادية والاجتماعية"، وهنا يورد قرائن كثيرة لإثبات فرضيته، منها على سبيل المثال أن عدد العاملين في صناعة الأقمشة في ذلك القرن في البندقية وحدها ناهز 16 ألفاً، وستة آلاف في مجال صناعة السفن، أما فلورنسا فازدهر نشاطها الصناعي والصيرفي حتى بات "يؤثر في اقتصاد كل أوربا"، واشر ظهور بوادر العلاقات الرأسمالية، ولنا فيما أورده بشأن فلورنسا من إحصاءات مصداقاً لما ذهب إليه، ففي القرن الرابع عشر بلغ عدد الورش الحرفية الكبيرة أكثر من مئتين، و نسبة عمال الأقمشة 80% من سكان المدينة الذين ناهز عددهم 150 ألفاً شخص، وهو ما لم يكن له مثيل في أوربا آنذاك[85].

ومما يؤيد رأي (د. كمال) إن علائق ايطاليا التجارية مع الشرق كان لها فائدتها في انفتاحها ثقافياً واجتماعياً على تراثه مما فتح أعين الطليان على كنوز الشرق المعرفية جنباً إلى جنب مع كنوزها المادية، وهنا يؤكد إن اثنين من الرواد الثلاثة الأوائل هما دانتي وبوكاشيو[86] تأثرت نتاجاتهما بالمؤثرات الشرقية، ثم يورد عوامل أخرى أضافت زخماً إلى تلك النهضة من ضمنها استشعار الايطاليين أنهم مركز الحضارة الرومانية التي تحتاج إلى من يبعثها، وأنهم مركز البابوية مما يضفي

خصوصية لهم وفي الوقت نفسه يجعلهم أكثر من سواهم اطلاعاً على مساوئ الكنيسة، وهو لهذا أكثر استعداداً لإصلاحها وتجاوز عصرها الكنسي المنغلق إلى عصر أكثر انفتاحاً، وبالتالي اجبر بعض بابوات الكنيسة كالبابا نيقولا الخامس أن يتكيّفوا مع تلك النهضة ويتفاعلوا معها، وأخيراً يرى في طبيعة ايطاليا وجمالها أثرا في إبداعات الايطاليين، لاسيما أن معظم نتاجاتهم كانت فنية لا علمية[87].

بدوره أكد (ضمد وسمي) إن النهضة ظهرت في ايطاليا نتيجة عوامل متداخلة منها أنها "ملتقى العالم القديم" وفيها "مراكز التبادل التجاري" المهمة، وأن لدى شعبها "نزوع للتجديد"، وازدهار مدنها وتمتعها بحكومات تسابقت في تشجيع الآداب والفنون كآل مديتشي، وتمتع أهلها بسلام ساعد على انغماسهم في الدراسة والبحث والتذوق واظهر نوابغ الفن والأدب فيها، ولم ينس الإشارة إلى علوم العرب التي شكلت ايطاليا حلقة وصل مهمة في انتقالها إلى أوربا[88].

ثانيا. خصائص النهضة الايطالية:

تباين المؤرخون العرب في بيان خصائص النهضة، فرأى (د. سعيد عبد الفتاح عاشور) أن ميزة النهضة انقسامها إلى مراحل متتابعة قادت إحداها إلى الأخرى، لتصل بالنهضة إلى بنيتها الناضجة المتميزة بالشمولية والانفتاح والتلاقح مع كل جديد، فالنهضة بدأت أدبية أثارت "موجة من التقدم الفكري قضت على الجهل والخرافات ... في سبيل تحرير الفرد من قيود العصور الوسطى"، تلتها نهضة فنية "بوساطة الفنانين الذين كشفوا عن جمال الآثار القديمة وحاولوا محاكاتها، وبعبارة أخرى فإنه إذا كان الايطاليون أصحاب الفضل الأول في نشأة الأدب الحديث، فإنهم يستطيعون أن يفخروا أيضا –وعلى مقياس أعظم– بأنهم مبتكرو الفن الحديث، وبصفة خاصة فني التصوير والنحت"[89].

فيما اعتقد (د. عبد العزيز نوار) أن النهضة لم تكن مراحل، بل تيارات متوازية في جوانب شتى منها: ثقافية تجلت بتيارات فكرية قامت على روح الشك والنقد والبحث عن الحقائق بعد استردادها من مصادرها الأصلية اليونانية واللاتينية، من خلال نشاطات حدثت بعيدا عن الجامعات التي اقتصر اهتمامها على الطب، القانون المدني، القانون الكنسي، الفلسفة واللاهوت. وسياسية تجلت بالتحرر من العبودية والنظام الإقطاعي وتبلور مفهوم الدولة القومية لاسيما خارج ايطاليا، في فرنسا، اسبانيا، انكلترا وسواها. واقتصادية غيّرت النظريات القائمة على مبدأ الاكتفاء الذاتي القائم على الزراعة، إلى نظام زراعي– تجاري متداخل تجلى بالكشوفات الجغرافية[90]. وهنا نود الإشارة إلى أن معظم أقطاب الكشوفات الجغرافية كانوا ايطاليين.

وأشار (د. نوار) إلى خصائص أخرى كالاهتمام بعلمي الآثار والتاريخ والفنون الجميلة بأشكالها كافة، ليصل إلى الربط بين النهضة وظهور اللغات القومية الحديثة التي كانت صدى للقوميات الأوربية

الناهضة، لكن (د. نوار) أشار إلى ملاحظة جديرة بالاهتمام مثلت رد فعل منطقي لما عاناه الايطاليون من الكنيسة مما دفع النهضويين للدعوة إلى التمتع بملذات الحياة والاهتمام بمظاهر الجسد دون تحفظ، كما كان الحال في الإيقونات اليونانية والرومانية، وبالتالي نرى أن (عبد العزيز نوار) كان موفقاً في إجمال خصائص عصر النهضة وبرهنة كل خصوصية على حدة[91].

وحاكاه (د. ميلاد المقرحي) الذي غاص في تفكيك مظاهر النهضة الايطالية، فخصائصها عنده تنوعها بين ثقافية، فنية، دينية، فلسفية، وهندسية، بل أن الجوانب التي ولجتها النهضة شملت كل شيء[92]. واسترسل (د. شوقي الجمل) بدوره في تبيان تلك الخصائص، لكنه قسمها إجمالاً إلى اثنتين: فكرية عبّرت عن نفسها من خلال الدراسات الإنسانية، ظهور اللغات القومية، الاهتمام بعلمي التاريخ والآثار، الفنون الجميلة بأنواعها، العلوم الحديثة والمنهج العلمي الجديد، الكشوف الجغرافية، فضلا عن الطباعة، أما الثانية فاجتماعية تمثلت بالانحلال الأخلاقي الذي تجلى في المجتمع الايطالي وعبّر عن نفسه بقوة، كما أن المرأة أصبحت محور الاهتمام، كونها مصدر الحياة مما أقحمها في مجالات عدة، لكن ما تقدم اثر في النسيج العائلي إلى حد كبير فكانت له تداعيات سلبية[93].

وبالتالي اتفقت آراء (نوار) و(المقرحي) و(الجمل)، إلا في الجزئيات، فيما عدا رد الفعل تجاه هذا التحلل الأخلاقي الذي حدا بمصلحين كالراهب الايطالي سافونارولا Girolamo Savonarola (1452–1498) إلى محاربته من جهة ومحاولة الضغط على البابوية لإصلاح أخطائها التي كانت مسؤولة عما حدث إلى حد كبير، كما أن (الجمل) و(المقرحي) أشارا إلى الطباعة التي أغفلها (نوار) ولم يذكرها سوى في موضع أخر على الرغم من أهميتها الكبيرة في تيسير انتقال المؤلفات إلى شتى أنحاء القارة بسرعة وثمن زهيد[94]، ولم يختلف (د. عمر عبد العزيز) عن زملائه في استعراض خصائص عصر النهضة[95].

وأوجز (د. جوزيف نسيم) خصائص النهضة في التحرر من مبادئ الكنيسة التي تسلطت على عقول الإفراد ومقدراتهم وحياتهم، وقيام نهضة علمية استندت إلى اقتباس خصائص الحضارة الكلاسيكية اليونانية والمدنية الرومانية، وتحرير الفكر، والبحث والتنقيب عن الحقائق وعرضها بتجرد تام، واقتباس الفلسفة القديمة كالأفلاطونية والارسطالية، والسعي نحو تحقيق ابتكارات علمية[96].

وأطّر (د. زكي صالح) تلك الخصائص في مصفوفة من تطورات متداخلة ومتسلسلة بدءاً بحركة إحياء العلوم والفنون الإغريقية والرومانية (Renaissance) التي انتهت إلى الحركة الإنسانية (Humanism) ذات المظهر الوثني التي ركزت على تحرير الإنسان من الكنيسة وقيودها، مروراً بالتقدم العلمي القائم على البحث والاستكشاف، وانتهاءً بالتغيير الجذري في الأوضاع الاجتماعية

والسياسية لمجتمع النهضة، أي أن خصائص النهضة كانت شاملة ومستحوذة على مظاهر حياة النهضويين برمتها[97].

وعرضَ (د. فلاح حسن الأسدي) خصائص النهضة ضمناً حين نبّه إلى تحول نمط حياة الإنسان في عصر النهضة، "فبعد تحرير الفرد الايطالي من قيود الكنيسة وتشبعه بالروح الفردية وتثقيفه بالحضارة الكلاسيكية وقيمها، فإن العقل الايطالي توجه لاكتشاف الكون والطبيعة... ومناقشة ما درجت عليه العلوم الطبيعية من اعتماد على التجريب والاختبار... وانبثاق التصوير السايكولوجي عند دانتي أولا ثم بترارك وبوكاشيو"، فضلاً عن إحياء علوم الحضارة الكلاسيكية القديمة، والاهتمام بالمخطوطات القديمة، واستخدامها وسيلة لارتقاء مجتمع النهضة[98].

أما (د. إبراهيم خليل العلاف) فحاكى في وصفه لخصائص النهضة الخطوط العامة التي عرضها سواه، فتمثلت النهضة الايطالية عنده بـ"ظهور الحركة الإنسانية، وبدء حركة واسعة للتدوين والتوثيق والفهرسة، وجمع المخطوطات والوثائق، وعمل المعاجم والموسوعات والانسكلوبيديات، والاهتمام باللغات الأوربية الوطنية والتاريخ والآثار والفنون الجميلة"[99].

ورأت (د. ليلى الصباغ) في خصائص النهضة تنوعاً وخطوات متلاحقة قادت إحداها إلى الأخرى، لتفرز نتاجاً نهضوياً متشعباً، فمتغيرات النهضة متنوعة ونتائجها شاملة، منها ظهور الفكر اللا ديني المناوئ لتراث الكنيسة، الذي شرعن تغيير واقع أوربا، وكسب رواداً كثر إليه، وتبني الكتابة باللغة القومية لكل بلد أوربي ونبذ اللاتينية، وانتشار الجامعات الذي دلّ على توسع التعليم وازدهار الآداب والفنون والعلوم، ثم اختراع الطباعة الذي سهل انتشار الكتب والأفكار بصورة كبيرة، ومن ثم فأن (د. الصباغ) أرادت القول أن مظاهر التغيير كانت متداخلة، ونتاج تفاعلها قاد إلى ظهور النهضة، التي هي بحسب هذا الوصف لم تكن ايطالية تماماً، بل كانت ظاهرة أوربية[100].

وتوافق (د. محمد محمد صالح) مع الوصف السابق، فذكر أن من مميزات النهضة استخدام الورق واكتشاف الطباعة اللذين كانت لهما نتائج أسهمت في نشر ثقافة النهضة الايطالية في عموم أوربا، وكرر ما أورده سواه من المؤرخين حول تركيز النهضويين على بعث التراث الكلاسيكي (الإغريقي ـ الروماني) في الأدب والفن والفلسفة وباقي صنوف المعرفة، ثم بيّن تداعيات ذلك على الفكر الايطالي الذي احتقر تراث العصر الوسيط وتبنى معارف الكلاسيكية ليفرز ما عرف بالحركة الإنسانية التي أنجبت رموزاً نهضوية متعددة وضعت يدها على نقاط الضعف الكثيرة في تراث الكنيسة وكشفت التزوير والتدليس الذي شاب الكثير من مخطوطاتها، كمخطوطة (هبة قسطنطين Donation of Constantine) التي اكتشف المؤرخ لورنزو فالا Lorenzo Valla (1407-1457) تزوير

البابوية لها، ولاغرو أن يؤدي كل ما سبق إلى تبني النهضويين ثقافة مشككة مناوئة لتراث الكنيسة، انتهت إلى التركيز على الفردية والرغبة في الانسلاخ من القيود الدينية والسياسية والاقتصادية المرتبطة بالعصر الوسيط[101].

بينما يصف (د. جلال يحيى) خصائص النهضة وما تمخض عنها من قيم جديدة بأسلوب تغلب عليه السردية واضطراب المفاهيم ومدلولاتها، أو لنقل عدم الانسجام بين الخصائص ومنطلقاتها، ويبين ما أوردناه حين يصف النهضة بـ"عصر ظهور الفرد، وعصر الأدب، وعصر الفن، وهو عصر التحول، والهدم والبناء، وعصر المخاطرة والكشوف الجغرافية والعلمية، وعصر العلم الجديد، عصر التهكم والضحك والمرح، وعصر مخالفة القوانين والتقاليد الأخلاقية، وعصر الغدر والخيانة، وعصر السياسة الصاخبة ومجد الأمراء والنبلاء والعظماء من الرجال، وبهذا الشكل يكون عصر النهضة هو عصر التغيرات الكبيرة التي أصابت المجتمع الايطالي في الفترة الواقعة بين العصور الوسطى والعصر الحديث وهذه التغيرات تتمثل في ضعف الإمبراطورية الرومانية، وفي ضعف البابوية وسلطة البابا وحل محلهما نمو الدول الأوربية الحديثة... وتتمثل كذلك في ظهور الكنائس الإقليمية المستقلة كما تتمثل في نشأة الآداب الوطنية الجديدة مستقلة عن الأدب اللاتيني، وتتمثل في ضعف سلطة الأمراء والسادة الإقطاعيين، وازدياد نمو أرباب الصناعات، ونمو رجال الطبقة الوسطى، كما تتمثل في ظهور وسائل العمل الجديدة"[102].

ومما يؤخذ على الدراسات المتقدمة أنها لم تأت بجديد على ما أورده الأوربيون، ولم تخضع لتفسير خاص يمنحها روحاً جديدة، أو على الأقل يضفي طابعاً عربياً على نظرتنا إلى عصر النهضة الايطالية[103].

بينما كان (السيد ضمد وسمي) أكثر شمولاً ودقةً في استعراض خصائص النهضة، ومن ضمنها نمو العلاقات الرأسمالية، تطور وسائل الإنتاج، ظهور الطبقة البرجوازية، الاستفادة من المؤثرات الإسلامية، ظهور فئة الانتلجينسيا (Intelligentsia)[104] التي أخذت على عاتقها مهمة التطوير الفكري والاجتماعي والاقتصادي التي مارست نشاطاً حاسماً في تغيير وجه أوربا وانتشار روح النقد وتحرر العقول مما مهد للإصلاح الديني واكتشاف وانتشار المطابع وعقلنة التعليم وتحرير المرأة فضلا عن تزايد الاختراعات العلمية، لكن (وسمي) انفرد عمن سبقه في إظهار الوجه الأخر للنهضة، حين بيّن أن اكتشاف البارود وتطور الأسلحة الفتاكة سهلت قتل البشر، وأن تنامي الأطماع الاستعمارية تبلورت في الاستكشافات الجغرافية بما تمخض عنها من تحكم الأوربيين ببقية الشعوب وتدمير الحضارات الأخرى لاسيما في الأمريكيتين وأفريقيا[105].

أما (د. حسن حنفي) فتناول خصائص عصر النهضة بطريقة مبتكرة وأسلوب فلسفي استقرأ فيه الأحداث ليستنبط فرضيات منها أنها بدأت بإصلاح ديني تطور إلى مفاهيم جديدة دشنت لنهضة أوربا من بينها، تحول الفلسفة من أفكار إلى ممارسات والاهتمام ببعض الثقافات والعلوم غير اللاهوتية كالشعر وسواه والإصلاح الديني للقضاء على فساد الكنيسة وغيرها من العوامل التي يمكن استشرافها والثورة على القديم فضلا عن الاعتماد على العقل[106]، وقاربه (د. ميلاد المقرحي) حين ذكر ان من بين تلك الخصائص تغيير نمط التفكير نحو حب المعرفة، وظهور حركات الإصلاح الديني لتغيير واقع الكنيسة، فضلاً عن تطور التجارة وتكدس الأموال التي شجعت على البحث عن أسواق وموارد جديدة ودفعت إلى الكشوفات الجغرافية[107].

وغاير (د. كمال مظهر) سواه في تحديد خصائص النهضة، فبيّن أن روادها كانوا من شتى أقطار أوربا، وإنها ظهرت في بلدان أوربا في أوقات متفاوتة تبعاً لظروفها السياسية والاقتصادية، وأن جانباً مهماً من مظاهر النهضة وتقنياتها ارتبط بمصالح البرجوازية كتطور صناعة السفن والتطور الكبير في حقل المعرفة الجغرافية والفلكية، فضلاً عن تميز اغلب رجال النهضة بأنهم كانوا موسوعيين نوعاً ما، ويورد لنا هنا قرائن يضيق المكان عن حصرها، أبرزها مواهب ليوناردو دافنتشي Leonardo Da Vinci (1452–1519) التي ولجت شتى الاختصاصات، كما أن كل بلد نحى منحى متمايزا عن الأخر في الاستفادة منها، وخلق نهضة تتواءم وخصوصيته، ولم يكن انتقالها من ايطاليا إلى أوربا بالكيفية ذاتها فكانت علمية، دينية، فكرية وفنية، وأخيراً شكلت النهضة ثورة تقدمية لأوربا والعالم كله[108].

ثالثا. رواد عصر النهضة:

تناول (د. عبد العزيز نوار) بعض أقطاب النهضة، وبدأ بالايطالي نيقولا مكيافيللي Niccolò Machiavelli (1469–1527) فانتقد بعض ما جاء في مؤلفه "الأمير" مؤكداً إن هناك تضارباً في أفكاره، "فهو يرى أن دعامة الحياة القومية هي الفضيلة على العكس تماماً من أفكاره في سبيل تحقيق الوحدة [الايطالية]"، واخذ عليه أيضاً، "انه كان يؤمن بنظام الطبقات في حين أنه يرى أن دعامة الدولة هي الشعب"[109]، ونرى أن مرد ذلك يعود إلى ما تعرضت له ايطاليا من مآسٍ عانى منها مكيافيللي شخصياً، كما أن كتاب مكيافيللي ليس مقدساً بل هو دراسة في نظم الحكم وأكثرها نجاحاً على ارض الواقع بعيداً عن المثاليات التي لا شأن لها بالسياسة، فمكيافيللي أراد القول أن لكل مقام مقال لكن بلغته، ثم أن نظام الطبقات حقيقة واقعة في أي شعب تمايز بين أفراده لكن الشعب ككل يبقى الأهم في بنيان الدولة.

ويسترسل (د. نوار) في استعراض بعض رواد النهضة في مختلف الاختصاصات ومنهم: الشاعر دانتي أليجيري، الشاعر فرانشيسكو بترارك، الشاعر جيوفاني بوكاتشو G. Boccaccio (1313-1375)، الجغرافي باولو توسكانيلي P. Toscanelli (1397-1492)، ليوناردو دافنشي، الإنساني الهولندي اراسموس Desiderius Erasmus (1466-1536)، فضلا عن الرسام ميكيلانجيلو بوناروتي Michelangelo Buonarroti (1475-1564)، مع عرض أبرز اهتماماتهم ومؤلفاتهم بأسلوب لا يخلو من رؤية للكاتب تعطي المتلقي فكرة لا بأس بها عن أهمية كل منهم[110].

ومما يحسب لـ(نوار) إنه استعرض انتقال النهضة من ايطاليا إلى بقية دول أوربا وأبرزها فرنسا، انكلترا وألمانيا، وهنا ركز على مسألة شديدة الأهمية حين أكد أن نهضة كل بلد تتميز بنكهة خاصة به، ففرنسا وإن اهتمت بالتراث الكلاسيكي لكنها لم تقتبسه دون إضافة كالايطاليين بل أضافت إليه الشيء الكثير، وهو ما قد يعطينا فكرة عن سبب توقف النهضة في ايطاليا، وإمساك بعض دول أوربا الغربية بزمامها فيما بعد، كما أن (نوار) خصخص لنا نهضة كل بلد، فنهضة الألمان غلب عليها طابع الإصلاح الديني والاتجاه للعلوم، بينما نهضة انكلترا كانت شاملة علمية وأدبية، في حين اهتمت فرنسا أساساً بدراسة القانون الروماني مما جعلها رائدة في هذا المجال[111].

أما (د. الجمل) فهو في تطرقه لرواد النهضة ركّز على بعضهم دون الأخر بحسب أهميتهم وخلود أعمالهم، فابتدأ ببترارك رائد الحركة الإنسانية، ورأى في كتاباته اتجاهاً إصلاحياً يهدف إلى ظاهرتين هما روح التحرر في الفكر والتعبير والمطالبة بقيام وحدة سياسية لعموم ايطاليا، وهو رأي مهم لاسيما أنه نابع من استلهام أفكاره. ومن الآخرين الذين استعرضهم الشاعر دانتي، والرسامين: ليوناردو دافنشي، رفائيلو سانزيو Raffaello Sanzio (1483-1520)، وميكائيل انجيلو وسواهم[112].

بيد أن الذي ميّز كتابات (د. الجمل) عن النهضة أنه تطرق إلى ظهور نظريات جديدة أفرزتها النهضة أبرزها ثلاث: الأولى مثلها دانتي اليجيري الذي دعا من خلال كتاب الكوميديا الإلهية إلى إصلاح الكنيسة وضرورة تحدي طابع العصر الوسيط بروح النهضة المتحررة لكن بصورة متوازنة، كما أنه ابرز العدالة بوصفها مفهوما شاملا لا يفرق بين احد وأخر إلا على أساس أعماله، وهو ما كرره دانتي في مؤلفه الأخر "الملكية" الذي هاجم فيه تطلع رجال الدين للسلطات الدنيوية وانعكاساتها على تخلف أوربا، وضرورة جنوح الحكام إلى السلام العالمي كي تزدهر البشرية، وبالتالي فأن فهم دانتي لمكامن الخطأ كانت صحيحة وإن تميزت طروحاته بنضوج يسبق عصرها[113].

والنظرية الثانية يمثلها نيقولا مكيافيللي، إذ يحاول (د. الجمل) هنا إعطاء فكرة عما تعرض له مكيافيللي ليهيئنا لإسقاطات ذلك الواقع على نتاجاته وفي مقدمتها كتاب الأمير، فيؤكد (الجمل) أن مكيافيللي ناوأ التهتك والمجون الذي ساد المجتمع في عهده مما دعاه إلى إتباع المصلح الديني سافونا رولا لكنه سرعان ما تركه، ويبرر (الجمل) ذلك بالقول أن مكيافيللي: "كان ينقصه الاهتمام بالأخلاق كغاية في ذاتها، كما انه كان بعيداً عن كل إيمان ديني عميق"، ثم يحاول إعطاءنا تفسيراً أخر حين يقول: "إن مأساة سافونا رولا كانت تجربة عملية أمام مكيافيللي استقى منها الدروس السياسية التي شرحها في بعض كتبه عند دراسته وتحليله للأسباب التي أدت إلى سقوط ذلك الراهب الثائر"، ثم يستعرض الثوابت الأخرى لأفكار مكيافيللي من خلال تحليل مؤلفه الأمير ليقول بالنص: "نلاحظ على مبادئه ازدواجية وفيها متناقضات؛ مثلاً نراه يتأرجح بين نظم الحكم المختلفة الجمهوري والملكي... خرج عن تقاليد العصور الوسطى فنبذ الناحية الدينية وتجاهل تعاليم الأديان السماوية وتغاضى عن المقومات الأساسية للأخلاق العالية وأخضعها للمصلحة السياسية"، لكن هذا يقودنا إلى أن نسأل: هل كانت الكنيسة مثل الكاثوليك الأعلى ملتزمة بالتعاليم السماوية؟، وهل نستطيع تجاهل حقيقة أنها أعطت دروساً عملية للجميع في إخضاع الأخلاق العالية للمصلحة السياسية، يكفينا مثلاً لذلك أنها أثناء الحروب الفرنسية في ايطاليا غيّرت اصطفافاتها أكثر من مرة تبعاً لأخلاقها السياسية[114].

أما الاتجاه الثالث فيمثله الانجليزي السير توماس مور Sir Thomas More (1487-1535) صاحب كتاب يوتيوبيا (Utopia) الذي يتصور مدينة مثالية لمجتمع تسوده الفضيلة ويرى فيه (د. الجمل) صورة لرد فعل أنساني تجاه المظاهر السلبية التي عايشتها أوربا ومصلح ديني ودنيوي كبير كان يمكن لأفكاره أن تجنب أوربا والعالم الكثير من الويلات[115].

ويتطرق (الجمل) أيضاً إلى انتقال النهضة إلى خارج ايطاليا ويكاد يتفق في ذكر أهم مظاهرها في كل بلد مع (د. عبد العزيز نوار)، فيبدأ بألمانيا التي يتصف طابع النهضة فيها بإصلاح ديني قائم على الفلسفة متمايز عن تقديس الجمال ومحاكاة المثل التي سادت بين الرومان والإغريق، أما في فرنسا فيرى أن النهضة زاوجت بين القديم والحديث لتسقط خصوصياتها على ما اقتبسته من ايطاليا، غير أنه لا يعطي مثالاً لما تميزت به نهضة فرنسا، وكذلك في تعرضه لنهضة انكلترا فمع أشادته بها وبجهود مصلحي أكسفورد الذين تحملوا عبء نشر مظاهرها في المجتمع الانكليزي، لكنه لم يبين كنه النهضة الانكليزية، غير أنه أثار الانتباه إلى انتقال النهضة إلى اسبانيا، ثم فشلها لخصوصية التعصب الذي ساد اسبانيا حكومة وشعباً[116].

وسار (د. ميلاد المقرحي) على المنوال نفسه من الاسترسال في تناول رواد النهضة، بل أنه فاق سابقيه في توضيح جوانب مهمة في شخصيات وأعمال الشطر الأهم من رواد النهضة الايطالية، ووفق في توضيح مزاياهم النفسية وجوانب تفوقهم إلى الحد الذي أقحمنا فكرياً في أعمالهم ومؤلفاتهم وجسّم لنا شطراً من مزايا عصرهم[117]، وقاربه (د. نور الدين حاطوم) في استعراض تفصيلي لرواد النهضة وانجازاتهم[118]، بيد أن ما تفرد به حاطوم وصفه للّسمات العامة لشخصيات النهضويين التي عبر عنها بالقول: "غلب على إنسانيي النهضة، وخاصة في ايطاليا الكبرياء واثبات الأنا وامتداد الفرد الذي يرغب كل الرغبة أن يعيش أنواع الحياة التي يمكن تصورها... وان يكون فصيحاً، شاعراً، فناناً، فيلسوفاً، أخلاقياً، سياسياً، بطلاً عاشقا، عالماً... يبحث عن سعادته في الجمال والخلق والإبداع والظفر والمجد"[119].

أما (د. عمر عبد العزيز) فأبرز دور بترارك في ظهور النهضة الايطالية وتأسيس مدرسة فكرية سميت الإنسانية، ثم ذكر بعض رواد النهضة كدانتي في ايطاليا، المفكر الفرنسي ميشيل دو مونتيني Michel de Montaigne (1533–1592)، والشاعر الانجليزي جيفري تشوسر Geoffrey Chaucer (1343–1400)، ونبه (د. عمر) إلى أن من مميزات النهضة ظهور المنهج العلمي في البحث الذي تجلى بكشف المؤرخ لورنزو فالا تزوير وثيقة "هبة قسطنطين" التي طالما تشدقت بها الكنيسة لإثبات وصايتها على السلطة الزمنية، ومن الرواد الآخرين الذين تطرق لهم (د. عمر) مع توضيح كامل لاختصاصاتهم وإبداعاتهم المختلفة ليوناردو دافنشي، روفائيلو، ميكيلانجيلو، النحات نيقولو دوناتيلو Donatello di Niccolò (1386–1466)، لورنزو جيبرتي Lorenzo Ghiberti (1378–1455)، المعماري فيليب برونلسكي Philip Berlinski (1377–1446)، بيد أنه ركز كثيراً على أفكار دانتي ومكيافيللي، وفَصّل أفكارهما وطروحاتهما لاسيما بالنسبة إلى مكيافيللي الذي يراه واضع "أسس الفلسفة السياسية في ايطاليا حتى آخر القرن الثامن عشر". وبعد أن يستعرض ثنايا كتاب مكيافيللي ويحاول أن يوضح العلاقة بينه وبين واقع ايطاليا السياسي آنذاك؛ يخلص إلى القول أنه يحوي "الازدواجية والمتناقضات"، ثم يذكر بلهجة متحاملة على مكيافيللي إنه "خرج على تقاليد العصور الوسطى وتجاهل تعاليم الأديان السماوية وتغافل عن مقومات الإنسانية وفي مقدمتها الأخلاق المثالية، وأخضعها جميعها للمصلحة السياسية، وطالب بأن يكون الشعب أداة مسخرة في يد الحاكم، وان تكون مصلحة الحاكم وهي مصلحة الدولة مقدمة على كل اعتبار آخر فهو ينادي بأن تكون السياسة الملتوية الغادرة الخائنة إذا كان في إتّباعها محافظة على كيان الدولة"[120].

لكن إمعان النظر يفضي إلى أن الخروج من تراث العصور الوسطى كان قانوناً حتمياً لم يكن مكيافيللي سوى إحدى قنواته، أما تجاهل التعاليم السماوية ومقومات الإنسانية فكانت اتجاهاً عاماً لدى جميع الحكام ورجال الدين أنفسهم، ولم يتميز مكيافيللي عنهم سوى بتوثيق ما كانوا يعملونه فعلاً والدعوة إلى الاقتداء به كونه الوسيلة الوحيدة للتعامل مع الآخر، ومع أننا هنا لسنا بصدد الدفاع عن مكيافيللي أو اتهامه بقدر تحري الحقيقة لكننا نلحظ أن مكيافيللي تميّز عن الآخرين من الحكام ورجال الدين في غاياته التي كانت لصالح المجموع مع اعتراضنا شخصياً على وسائلها، وهو في هذا على الأقل غاير الأهداف الأنانية لبعض معاصريه[121]. أما ما أخذه (د. عمر) على مكيافيللي من أنه أكد في كتابه على دعامتين أساسيتين للدولة هما: السياسة والجيش، وإغفال الثقافة والاقتصاد والدين، فهي ملاحظة جديرة بالاهتمام تدل على قصور في نظر مكيافيللي إلى مقومات المجتمع التي يجب أن تقرب إلى التنوع والكمال[122].

لكن تلك المثالب التي شابت أفكار ميكافيلي لم تمنع (د. جوزيف نسيم يوسف) من وصفه "بأنه يمثل ذروة عصر النهضة في أوربا"، واللافت أن (د. جوزيف نسيم) برر تميّز نيقولا ميكافيلي ضمناً بسبب كتابه الأمير الذي شكل بحسب (د. جوزيف) "خلاصة فلسفة الاستبداد وقتذاك"، وكأنه يبين أن منطلقات كتاب الأمير تمثل ذروة أفكار النهضة، وهو أمر يناقض الحيثيات المتطورة والمبادئ الإنسانية التي افرزها ذلك العصر[123]، أما باقي رواد النهضة ومنهم بترارك، وبوكاشيو، ولورنزو العظيم فطلّ عليهم (د. جوزيف) أطلاله سريعة لم تغر بعيداً في تقييم نتاجاتهم فيما عدا دانتي اليجيري الذي انفرد (د. جوزيف) في بيان أهميته إلى درجة عدّه حداً فاصلاً بين العصرين الوسيط والحديث، كونه استخدم الايطالية المعاصرة بدل اللاتينية في أعماله، وتناول تاريخ العصر الوسيط بمنهجية دشنت لكتابات العصر الحديث[124].

أما انتشار النهضة خارج ايطاليا فقد شغلت بعض المؤرخين العرب ومنهم (د. عمر عبد العزيز) الذي برر انتقال النهضة خارج ايطاليا تبريرات تغاير إلى حد كبير التبريرات التي تحاول تحميل العقلية الايطالية المسؤولية، إلى تبريرات سياسية تجلت بغزو ملك فرنسا شارل الثامن Charles VIII (1470-1498/ 1483-1498) ايطاليا سنة 1494 ليمتد الصراع حتى سنة 1559، ودينية تبلورت بإصلاح مارتن لوثر الذي دفع ملك فرنسا والكنيسة للنقمة على النهضة الايطالية التي سرعان ما تم وأدها، وتعليمية من خلال نقل الطلبة الأجانب أفكار النهضة إلى بلدانهم وبالتالي أخذت دول أوربا الأخرى بزمام النهضة لتكمل ما بدأته ايطاليا[125].

في حين أشار (د. زكي صالح) إلى انتشار النهضة خارج ايطاليا دون تبرير أسباب الانتشار وحيثياته، واكتفى بالتنبيه إلى أن مظاهر النهضة في بلدان أوربا انسجمت مع خصوصية كل بلد وسماته، "ففي ألمانيا اتجهت اتجاهاً دينياً"، و"في فرنسا... اتجه رجال النهضة إلى دراسة القانون الروماني"، "وفي انكلترا قامت حركة أدبية"، "أما في اسبانيا والبرتغال فقد اتجهت النهضة إلى بعث روح الاستكشافات الجغرافية"[126].

كما بيّن (السيد علي حيدر سليمان) أهم رواد النهضة واختصاصاتهم في الفن، البناء، السياسة، العلوم، والإنسانيات، غير انه ركّز على دانتي وبترارك ومؤلفاتهما كحال سواه ممن تطرق إلى النهضة، ثم بيّن التطور الذي شهده منهج البحث العلمي وانعكاساته على تقدم الطب والجغرافية والفلك وغيرها، وهنا أشار إلى إن الاكتشافات الجغرافية من ثمرات النهضة[127].

وحاكاه (د. زكي صالح) حين ركّز على بترارك وعّده محور النهضة الايطالية و "البادئ الحقيقي بحركة إحياء العلوم القديمة"، فضلاً عن آخرين من أقطاب النهضة في مقدمتهم دانتي، الذي أشار إلى تشابه مؤلفه (الكوميديا الإلهية) مع (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، وبوكاشيو الذي اشتهر بكتابه ذي الأسلوب القصصي (ديكاميرون)، وانتقى أعلام النهضة كل حسب اختصاصه، كالرسامين (ليورنادو دافنشي) صاحب لوحة العشاء الأخير، و(روفائيلو) صاحب لوحة العذراء الشهيرة، و(ميخائيل انجيلو) المشهور بلوحة يوم القيامة، والإيطالي تيزيانو فيسيلو Tiziano Vecellio أو تيتان Titian (1488أو1490–1576) الذي رسم لوحة لعاهل الإمبراطورية الرومانية المقدسة شارل الخامس Charles V (1500–1558/ 1519–1556)، و(دوناتيلو) الذي تميّز بعبقريته العمرانية التي تركت أثرها على عشرات الكنائس الايطالية، وحين تطرق إلى بعض الكتاب لم يقتصر على الطليان، وانتقى ابرز أعلام أوربا الذين عاصروا النهضة[128].

ومع أن (د. محمد محمد صالح) استعرض الكثير من رموز النهضة لكنه تميّز بذكرهم على وفق اختصاصاتهم، وكان موجزاً في وصف انجازات كل واحد منهم، فركّز على فرانسيسكو بترارك في معرض حديثه عن الحركة الإنسانية بوصفه محورها، وحين تناول التعليم في عصر النهضة التقط أسماء بعض المصلحين ممن درسوا في الجامعات الأوربية، مثل مارتن لوثر الذي درس في الجامعة ذاتها، وجون كوليت John M. Colette (ت 1519) عميد كاتدرائية سانت بول الانكليزية، أما السير توماس مور فاسترسل في وصفه واستعراض مؤلفاته، وهكذا الحال مع باقي صنوف المعرفة التي تناولها، ويؤخذ على هذا الوصف انه لم يركّز على مجتمع النهضة في ايطاليا، بل تناوله في عموم أوربا، كما أن تناوله لرموز النهضة كان من الإيجاز بمكان إلى الحد الذي أبقى تساؤلات عدة ونقاط

مبهمة حول تلك الرموز[129]، وجاراه (د. إبراهيم العلاف) في هذا الأمر حين لم يفرق بين رواد النهضة الأوربيين سواء من ناحية الجنسية أو الزمن، فذكر أسماء بعضهم سواء ايطاليين أو غيرهم، ومن حقب تاريخية بعيدة نسبياً عن مرحلة النهضة الايطالية[130]، وكأنه يرى أن الأهم عنده التعامل معها ككل لا يتجزأ.

وهو ما كررته (د. ليلى الصباغ) حين أوردت أسماء رواد أوربيين في مختلف الاختصاصات، مع أنها ركزت على الفنانين أكثر من سواهم، وبينت جزءاً من أعمالهم الفنية، والتطور الذي مايز بينها وبين المخلفات المادية للعصر الوسيط، لتخلص إلى أن الفن النهضوي شهد مزاوجة بين الأنماط القديمة والأفكار الجديدة، وبعد أن ذكرت شطراً من أسماء أولئك الفنانين، وأيضا جوتّو دي بوندوني Giotto di Bondone (1266–1337) والفلورنسي مازاتشيو Massccio (1401–1428) ودوناتيلو، جسّمت تأثيرهم على مجمل الحركة الفنية، بما الجأ البلاطات وكبار البرجوايين والكنيسة ذاتها إلى الإفادة من أولئك الفنانين في رسم ونحت وبناء آيات رائعة ما زال بعضها شاخصاً حتى الآن[131]، بيد أن أهم أشارة أوردتها، أبراز أسباب نشوء النهضة في ايطاليا، التي كانت "نقطة مشعة في الخريطة الأوربية، ومركز جذب ترنو إليه جميع الشعوب في أوربا... وإليها تهفو قلوب المسيحية بصفتها مركز البابوية، والمحج الموعود، كما أن فيها العاصمة السابقة للإمبراطورية الرومانية الزائلة ذات الحضارة الرائعة، هذا بالإضافة إلى أنها كانت متقدمة على جميع أوربا بحياتها الاقتصادية، وتشكيلاتها الاجتماعية، ومنظماتها السياسية المتنوعة، وبحياتها الفكرية الحرة والرفيعة"، لكن مقومات انتشار النهضة في ايطاليا حملت بذور فنائها لأنها، والكلام ما زال لـ (د. الصباغ) "كانت تعاني مأساة، لأنها لم تستطع أن تكوّن وحدة سياسية واحدة، تتمكن فيها القوى السابقة من تحقيق ذاتها وأبعادها المختلفة، فايطاليا كانت مصطلحاً جغرافياً فحسب"، وكان طبيعياً بعد ذلك أن تذوي النهضة في ايطاليا لتنتشر في سواها من الأقطار الأوربية التي امتلكت مقومات مناسبة لها[132].

ومع أن الدكتور هاشم التكريتي كان موجزاً في استعراض رواد النهضة؛ لكنه ركّز على الرموز المؤثرة من بينهم التي قدر لها أن تؤدي دوراً خطيراً في الانتقالات النوعية للمجتمع النهضوي، فدانتي يمثل بحسب الدكتور التكريتي "أول من برز في ايطاليا في ميدان الأدب، بل انه كان صلة الوصل بين تراث العصر الوسيط وعصر النهضة"، وبترارك "ابرز رواد الحركة الإنسانية وأحد أشهر أدباء أوربا"، اما لورنزو فالا فله الفضل في ظهور نزعة النقد العلمي التي حين اخضع لها وثائق الكنيسة اثبت باعتراف البابوية تزوير الكثير من تلك الوثائق التي استند الباباوات إليها طويلاً في العصر الوسيط لتوطيد

نفوذهم وإدامة سطوتهم، ليثبت أن أساليب النهضويين دشنت لعصر جديد لا يخضع لهيمنة البابوية، بل يخضعها لهيمنته[133].

أما (د. فلاح حسن الأسدي) فلم يركز في هذا البحث المتيسر على رواد النهضة الايطاليين المعروفين كدانتي وبترارك وبوكاشيو واكتفى بأسمائهم دون الاسترسال في انجازاتهم، لكنه ركّز على الايطالي ليون باتيستا البرتي (Leon Battista Alberti) (1404–1472) احد إنسانيي النهضة غير المشهورين الذي كان موسوعيا نظم مقطوعات موسيقية غاية في الروعة، وولج مضمار الكتابة فكتب روايات باللغة الايطالية، كما درس القانون الكنسي والفيزياء والكيمياء، وأبدع في فن العمارة، فاجتمعت لديه شمولية النهضة وإبداعها، بالصورة التي دفعت الكثيرين لوصفه أنه: "قمة شامخة بين أولئك الإنسانيين"، الذين ميزوا النهضة الايطالية[134].

فيما انفرد (د. كمال مظهر) بإظهار حقيقة وضّحها دون سواه من مؤرخينا حول رواد النهضة قبل استعراضه إياهم، حين أشار إلى أنهم ابرز نتاج لعصر النهضة، فذكر أن "حقول المعرفة الإنسانية المهمة... تتجسد بشكل واضح من خلال استعراضنا لحياة وإبداعات عدد من ابرز أعلام النهضة الخالدين"، ثم يتناولهم حسب سبقهم الزمني فيبدأ بدانتي الذي يصفه بـ "اثقف مثقفي عصره"، بل أنه يتبنى قول احد مؤرخي أوربا، في أن دراسة دانتي وترجمة كوميديته تحتاج ما بين 15 إلى 25 عاماً، وهو رأي لا يخلو من مغزى، بعدها يخصص 13 صفحة يحلق فيها في عالم دانتي بما يلقي في روع المتلقي أن الأخير والنهضة وجهان للعملة نفسها[135]. ثم ينتقل (د. مظهر) إلى بترارك الذي يصفه بـ "الشاعر والكاتب الايطالي المبدع"، والرائد الثاني من رواد النهضة، لينتقل إلى "الكاتب المبدع" بوكاشيو، وكإشارة إلى أهميته يلتقط ومضة فكرية مهمة حين يقول أن "بوكاشيو لم يعد مثل سلفه دانتي بحاجة إلى تقمص أناس من الماضي السحيق واختيار أجواء من العالم الأخر ليعبر عن طريق أولئك وتلك عما كان يجيش في صدره من نقد لاذع للمظاهر المتفسخة[136]، بل انه يبقى في أجواء العالم الملموس ويتكلم في ديكاميرون على لسان أبناء الجيل الجديد المنتمين إلى الفئات الجديدة عما يدور في أعماقهم من تعرض مشروع لسلبيات الواقع الاجتماعي"، وهو كما نعتقد تطور مهم دلّ على تحرر فكر رواد النهضة من أجواء عالم الكنيسة إلى عالم اشد رحابة[137].

أما مكيافيللي فافرد له (د. كمال) كتاب سماه "مكيافيللي والمكيافيللية"، تناوله بعمق بدءاً من نشأته وانعكاساتها عليه، مروراً بمعايشته أوضاع بلاده السياسية في شبابه، وانتهاءً بمصيره أواخر حياته، مع تحليل موضوعي علمي لمؤلفه "الأمير"، في ضوء تحليل شخصية مكيافيللي وفلسفة كتابه، فلم يتهجم عليه كالباقين، بل نبّه إلى اثر ما عايشه من ظروف ومفاهيم فيما أنتجه، فهو ابن عصره،

ومفاهيمه نابعة من واقع ايطاليا، وليس معنى هذا تنزيه كتاب الأمير؛ لكن النظر إليه بواقعية على انه مجهود بشري له ما للبشر وعليه ما عليهم، دون أن يفوته المرور بأشد الحكام انتهازية من شاتمي مكيافيللي[138].

وبالعودة إلى حديث (د. كمال) عن رواد النهضة، فيتناول الإنساني أرازموس النوتردامي، والاشتراكيان المثاليان توماس مور والايطالي توماس كامبانيللا T. Campanella (1568–1639) اللذان أعطيا في مؤلفيهما "يوتوبيا " و "مدينة الشمس" Civitas Solis صورا مثالية لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإنساني، ثم يستعرض اشتراكيين آخرين منهم حاكم مدينة زويكو (Zwichau) الألمانية توماس مونزير Thomas Munzer (ت1525)، والفرنسي سيرانو Gabriel Serrano (ت1655)، ليخلص في النهاية للقول إلى أن أفكار الاشتراكيين المثاليين لم تستند إلى ارض الواقع، وأنها: "كانت تدور في عالم الخيال... ومع أن أفكار هؤلاء قد تركت أثارها على الاتجاهات الاشتراكية اللاحقة؛ إلا أنها ظلت محدودة التأثير في عصر النهضة"[139]. ولا نود هنا الاسترسال فيمن أوردهم من أعلام النهضة، ومنهم فضلاً عما تقدم الرسامون والنحاتون: ليوناردو دافنشي، ميكيلانجيلو، روفائيلو، ورائدي البحث التاريخي: لورنزو فالا، وكويجارديني وسواهم[140]، لكن ما نود الإشارة إليه أن (د. كمال مظهر) في حديثة عن رواد النهضة تعمق بموضوعية في تحليل أفكارهم ومؤلفاتهم واتجاهاتهم وإضافاتهم عن النهضة بأسلوب علمي يعطي فكرة مسهبة وواقعية عن عصر النهضة.

رابعا. نتائج النهضة الايطالية:

للنهضة الايطالية من وجهة نظر (د. حسن حنفي) نتائج نلمسها ضمنياً من خلال تقييمه للنهضة الايطالية، فهو يرى أن تلك النهضة مع أنها تلاقت في تركيزها على الإنسان بوصفه وسيلة وغاية، وهو ما عبر عنه لورنزو فالا حين واءم بين المذهب الإنساني المرتكز على الإبداع الفردي، والعلمانية بوصفهما منطلقاً لنهضة حقيقية، والفيلسوف المسيحي بيكو ديلا ميراندولا Giovani Pico Della Mirandola (1463–1494) الذي أكّد أن المذهب الإنساني في التفكير يقود إلى تأسيس أساسيات العلم والتعلم، لكن الدكتور حنفي نبّه إلى أن التشابه في فهم النهضويين للمنطلقات الإنسانية لعصرهم لم يحل دون تباين وجهات نظرهم وحوّل تقييم مزايا الذات البشرية ومنهجها في الشروع بنهضة أصيلة، الأمر الذي شظى المذهب الإنساني إلى خمسة تيارات فكرية متداخلة فيما بينها، مع أن لكل منها منطلقات متنوعة، أولها: الأفلاطونية التي تحاول إحياء القديم والتحول من أرسطو والعودة من جديد إلى الأفلاطونية الجديدة وإشراق النفس وحديث القلب. الثاني: المذهب الذي يجعل الإنسان بؤرة الكون، الذي يهدف إلى بناء الحضارة النهضوية الحديثة على أساس "الأنا أفكر"،

وجعل الذات البشرية محورا للعالم. الثالث: الطوباوية التي ترنو إلى عالم أفضل ومجتمع مثالي يعيش فيه الكل بسلام ومساواة وعدالة. الرابع: مذهب الشك الذي ينقد القديم ويشكك فيه حتى يمكن إفساح المجال للجديد. فضلا عن التيار الخامس: العلم التجريبي الجديد وتأسيس علوم الفلك، الطب، النفس، والطبيعة بعيداً عن الأحكام المسبقة والفرضيات الجاهزة والذي طبع العصر الحديث كله بطابعه فصار عصر العلم[141].

ومن خلال هذه التيارات تمت صياغة نتائج نهضة شاملة في كل شيء، فنتائج النهضة عند (د. حنفي) كثيرة ومتشعبة لا يمكن اختزالها بأمور محددة، وعلى وفق هذا التفسير لا يرى في الكشف الجغرافي كشفاً؛ بل تعرف على مناطق جديدة مأهولة بحضارات بعضها عريق لم يعرفوها من قبل، أما الإصلاح الديني وسواه فهو تحصيل حاصل لتلك التيارات التي هي أدوات النهضة ونتائجها في آن واحد[142].

وكان (د. سعيد عبد الفتاح) موفقاً في اختزال نتائج النهضة الايطالية بنقطتين إحداهما سلبية تمحورت حول تقليد النهضويين الأعمى للنماذج الأدبية والفنية للكلاسيكيين، وتبنيهم في الابتعاد عن ثوابت دينهم "الإلحاد والتحرر إلى حد الفوضى الاجتماعية والدينية، أما النتائج الايجابية فقد لخصها بتنوير الفكر وانتشار التعليم وازدهار المعارف وإصلاح الكنيسة[143].

أما الدكتور (الجمل)، فقد عدّ سمات النهضة ونتائجها وجهان للعملة نفسها، فظهور اللغات القومية، الطباعة، العلوم وسواها كلها نتائج لذلك العصر، غير أنه ركّز على الكشوف الجغرافية والإصلاح الديني كأبرز تلك النتائج، وهنا يؤكد (الجمل) أن النهضة إحدى دوافع الإصلاح لا الدافع الوحيد له[144]. فيما أجمل (الدكتور العلاف) نتائج النهضة في "الاهتمام بالإنسان، والفنون وبناء المدن وتحديثها والتأكيد على الحرية والاهتمام باللغات الوطنية وتمتع الفرد بشخصية مستقلة، وحرية في الرأي والتصرف، ... وإحياء التراث، وإنعاش التجارة، وتغيير أسس الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية... وثورة حتى في المفاهيم وأساليب الحياة والتعبير معا"[145].

وغايرت نظرة (د. سيار الجميل) لنتائج النهضة سابقيه، حين أوجزها في الإصلاحات الدينية التي شهدتها أوربا، مبيناً: "أن النهضة الايطالية ظاهرة تاريخية حقيقية توالدت عنها ظواهر تاريخية أخرى في القرن السادس عشر، منها ظاهرة الإصلاح الديني في ألمانيا على يد مارتن لوثر، وفي فرنسا على يد كالفن، وهي خطوة جريئة جداً في التاريخ الحديث أثارت المجتمعات، ونبّهت إلى أن القديم ليس مقدسا، وان الفكر الإنساني ينبغي أن ينطلق نحو آفاق رحبة، ولا يمكنه أبدا أن ينغلق، ولا

يمكنه أن يبقى متشرنقا أو جامدا، إن حصيلة كل من ظواهر الاستكشافات الجغرافية ونهضة الفن والمعارف والإصلاح الديني وثورات الفلاحين... قد حوّلت المجتمعات إلى ظواهر متقدمة أخرى"[146].

فيما بين (د. جوزيف نسيم) نتائج النهضة بانجازاتها المادية فحسب، كالورق والطباعة، واكتشاف الدورة الدموية، وتطور علم التشريح، واختراع البوصلة، والتلسكوب، وظهور النظريات الفلكية لاسيما لدى غاليلو، وتطور الجامعات، وقادت إلى الإصلاحات الدينية، ولنا في تحليل هذا الرأي منطلقات تتقاطع مع ما أورده (د. جوزيف)، أبرزها أنه ركّز أساساً على الجانب المادي، كما أنه أورد ابتكارات حدث الشطر الأعظم منها قبل عصر النهضة بكثير[147]. في حين لم يحاك (د. كمال مظهر) المؤرخين الذين استعرضوا نتائج النهضة فركّزوا على الجانب المادي من تلك النتائج، بل مال إلى الغوص بعيداً مؤكداً على جانبها الفلسفي الأيديولوجي، فالنتائج عنده كانت أساساً اختلافاً في أنماط التفكير ومناهج وتفاسير ومدارس فكرية جديدة، وهي الأهم، أما سواها فلم تكن سوى تحصيل حاصل لها، لذا نراه في استعراضه النتائج يؤكد أولاً على تغيير القيم الفكرية للمجتمع الإقطاعي إلى قيم مجتمع رأسمالي نجم عنه نقد كل أخطاء الماضي لاسيّما سلبيات الكنيسة، مما قاد إلى محاولات إصلاحها ومهّد للبروتستانتية فيما بعد، كذلك الاهتمام بالمخطوطات الكلاسيكية بوصفها منطلقا لبناء نهضة شاملة في شتى المعارف، أما التقدم في العلوم الإنسانية والتجريبية على اختلافها فكانت نتيجة منطقية للتغيير الذي أصاب المجتمع، ويورد اكتشافات عدة كأمثلة. ويركز (د. كمال) على تنامي الشعور القومي بسبب النهضة الذي ساعد في ظهور اللغات القومية الحديثة في أوربا التي كانت تحولاً مهماً على أكثر من صعيد، فهو مثلاً ابعد الدول الأوربية عن تراث الكنيسة، وأعطى لكل امة خصوصيتها، وبالتالي شجّعها على التنافس فيما بينها، كما ساعد القوميات المختلفة على قراءة نتاجات أبنائها، وأخيراً نبه إلى انعكاسات النهضة الايطالية على تغيير وضع المرأة التي زادت أهميتها كثيراً، فأمست بنظر النهضويين نصف المجتمع، وبالتالي من حقها كشريكها الرجل ولوج كل اختصاص. وكإشارة للتفاعل غير المنقطع في الانجازات البشرية أكد أنه "لم تقتصر نتائج النهضة والحركة الإنسانية على ما سبق ذكره، بل أنها أدت إلى نتائج أخرى كثيرة في مجال الإبداع الفني والتطور الفكري والإنتاج الأدبي وغير ذلك من حقول المعرفة الإنسانية المهمة"[148].

خامسا. انتشار النهضة الايطالية واضمحلالها:

مع أن النهضة الايطالية شكلت تطوراً مفصلياً مثيراً للجدل وانتقاله حاسمة في تاريخ أوربا إلى آفاق أكثر رحابة، لكن ما انتهت إليه تلك النهضة كان اشد غرابة من كيفية حدوثها وتطورها، ولو استعرضنا التساؤلات العديدة حول إفرازات تلك النهضة ونتائجها غير المتوقعة؛ لغدونا في كُلٍ فلسفي لا

بد من إماطة اللثام عن بعض عواهنه وخفاياه، ولعل أهم محاور نقاشنا يدور حول تساؤلين هما: كيفية انتشار النهضة من ايطاليا إلى سواها من دول أوربا، ولماذا انطفأت جذوتها في ايطالياً تزامناً مع اتقادها في باقي أنحاء أوربا؟ وكان لبعض مؤرخينا آراء في استيضاح بعض خفايا التساؤلين السابقين واستنطاق بعض القرائن لاستجلاب إجابات وافية عنهما، في حين مر آخرون مرور الكرام على انتشار النهضة الايطالية وتداعياته، ولم يعطوا حيزاً لما أوردناه.

وكان (د. عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين) من بين المؤرخين الذين وضعوا أيديهم على قرائن مهمة أظهرت قسطاً من مكامن الغموض في انتشار النهضة الايطالية تزامناً مع ضمورها في ايطاليا، حين نبها إلى أن غزو ملك فرنسا شارل الثامن لايطاليا أواخر القرن الخامس عشر أفقد الايطاليين ميزة السلام التي طالماً تمتعوا بها، وواكبوا إبانها حيثيات نهضتهم وطوروها، فانتقل زمام المبادرة إلى فرنسا التي كانت في عوز ونهم شديدين إلى اجترار معالم النهضة الايطالية تعويضاً عما كابدته فرنسا إبان حرب المائة عام مع انكلترا من جهل وتخلف، فكان نجاح الفرنسيين عظيماً في استلهام نهضة ايطالياً مع أنهم أضافوا إليها الكثير وحوروها بالصورة التي تتناغم مع خصوصيتهم، في حين أجبرت ويلات الحروب الفرنسية ـ الأوربية في ايطاليا الكثير من الايطاليين على إهمال مظاهر نهضتهم والانجرار مع فعاليات تلك الحروب وتداعياتها بما كاد يعيدهم سيرتهم الأولى قبل ولوجهم عصر النهضة، ويضيف (د. عبد العزيز سليمان وزميله)، بعداً آخراً لانطفاء جذوة النهضة في ايطاليا حين يشيران إلى أن العقلية النهضوية الايطالية عموماً كانت مقلدة للعلوم والفنون الكلاسيكية، مجبولة على الرتابة والاجترار بعيدة عن الإبداع والابتكار بعكس الفرنسيين الذين لاقحوا بين خصوصيتهم والنهضة وحلقوا بها إلى آفاق رحبة، مع التنبيه إلى أنهم ركزوا على جانبها القانوني أكثر من سواه فارتقوا به إلى حدٍ بعيد[149]، وكانت لانجلترا حصتها في الإفادة من تلك النهضة، بعد أن تجاوزت تداعيات حربي المائة عام (1337–1453)[150] والوردتين (1455–1485)، وتميزت نهضة انكلترا بالتنوع في اهتماماتها لاسيما في الجانبين الأدبي العلمي، مع تركيز خاص على الجانب الديني، أما ألمانيا فتمحورت نهضتها على الجانب الديني لخصوصية مجتمعها المتدين، وتململه من المساوئ التي اقترفتها الكنيسة بحق الألمان بالصورة التي دفعت البعض إلى الدعوة لإصلاح جوانب الخلل في الكنيسة وممارساتها بل وفي بعض جوانب العقيدة المسيحية[151].

ومع أن (د. عمر عبد العزيز) يتوافق مع معظم الطروحات أنفة الذكر، لكنه يتوسع في بعضها، ويضع يده على شطر من نقاطها الغامضة، فهو حين يناقش كيفية انتشار النهضة خارج ايطاليا يؤكد أنها سلكت مضمارين، عسكري تمثل بالاحتلال الفرنسي وما تمخض عنه من تشكيل تحالف معاد ضم

الألمان والأسبان الذين احتكوا مباشرة مع مظاهر النهضة الايطالية، فتسربت إلى فرنسا واسبانيا، وألمانيا، في حين نقل بعض المفكرين الأوربيين إرهاصات تلك النهضة من خلال الذهاب إلى ايطاليا والتتلمذ في مدارسها المختلفة على يد رواد النهضة الايطالية، ليقوم هؤلاء الأوربيين بعد عودتهم إلى أوطانهم بنقل الكثير من معالم النهضة الايطالية ومنطلقاتها مع إضافات توافقت مع خصوصية مجتمعاتهم والظروف التي أحاطت بهم، كالشطر الأعظم من المفكرين الانكليز الذي عرفوا بمصلحي اكسفورد، وبعض الألمان والفرنسيين والهولنديين والأسبان، بل أن أنوار النهضة وصلت إلى شرقي أوربا وروسيا[152].

وحين ناقش الدكتور عمر أسباب انطفاء جذوة النهضة في ايطاليا ركّز على الحروب الفرنسية التي شغلت الحقبة من سنة 1494 حتى 1559، وحدد سنة 1527 تأريخاً لانهيار تلك النهضة حين قال: "كان استيلاء قوات الإمبراطورية الرومانية المقدسة على روما عام 1527 إيذاناً بانهيار النهضة الايطالية"، واللافت أن الدكتور عمر رأى في الثورة البروتستانتية التي تزعمها مارتن لوثر في ألمانيا عاملاً مكملاً لاجتثاث النهضة في ايطاليا من البابوية وحلفائها الذين عدّوا الحركة الإنسانية الايطالية المسؤول الأول عن نقل أفكار شجعت العوام على نقد البابوية ومجابهتها، فاستخدموا وسائل غاية في القسوة ضد النهضويين الايطاليين اضطرتهم للتقوقع بعيداً عن أعين البابوية وأنصارها[153].

وأشار (د. عبد الحميد البطريق) إلى أن نهضة ايطاليا والتطور في جوانب حياتها كافة المقترن بانقسامها السياسي وضعفها العسكري والتنافس المستشري بين دويلاتها كانت أسباب مهمة شجعت فرنسا على غزوها وإقحامها في مغامرة جرّت عليها ويلات أودت بالشطر الأعظم من خصائصها النهضوية، ومن ثم فأنه يمكن القول استناداً إلى عرض الدكتور البطريق أن انتشار النهضة خارج ايطاليا كان السبب الأبرز لاضمحلالها في ايطاليا، ومع أن البطريق لم يتكلم عن انتشار النهضة خارج ايطاليا لكن تحول ايطاليا إلى ساحة حرب لمختلف القوى الأوربية جعل الأخيرة بالضرورة على تماس مع انجازات النهضة الايطالية[154]، مع التنبيه إلى أن الدكتور البطريق لم يغفل حقيقة الانتشار السلمي للنهضة الايطالية من خلال قدوم الكثير من الأوربيين إلى ايطاليا واقتباسهم معظم خصائص نهضتها ونقلها إلى مواطنيهم[155].

أما (د. عبد الفتاح أبو علية) وزميله (د. إسماعيل احمد ياغي) فقد صاغا الموضوع بصورة فرضية استهلاها بتساؤل عن كيفية انتقال النهضة خارج ايطاليا، وتميزت إجابتهما بالشمولية والحرص على ربط الأسباب بمسبباتها، فقد بررا انطفاء جذوة النهضة في ايطاليا وانتقالها خارجها مطلع القرن السادس عشر "بسبب تعرضها لغارات الجيوش الألمانية والفرنسية والسويسرية، مما أدى إلى نهب

المدن الايطالية وعلى رأسها روما. فأصبحت ايطاليا مرتعا لفوضى الحرب. ومن جهة ثانية حدث صراع اسري في المدن الايطالية أدى إلى عزل آل ميدتشي عن حكم فلورنسا. واستيلاء فرديناند Ferdinand (1452-1516) ملك اركون على نابولي سنة 1504، وتعرضت ميلانو لزحف الجيوش الفرنسية والألمانية والسويسرية ... وقد ظل بصيص إشعاع للنهضة الايطالية يشع من روما التي أصبحت محور الحركة الإنسانية في عهد البابا ليو العاشر... إلى أن سقطت روما بيد القوات العسكرية الأوربية سنة 1527، وبعدها انهارت النهضة تماماً في ايطاليا وبدأت تخرج إلى الأقطار الأوربية الأخرى"، ويورد البطريق وياغي سبباً آخر يعتقدان انه لا يقل أهمية عما أورداه أنفاً هو "قيام حركة الإصلاح الديني في أوربا الموجه ضد الكنيسة الكاثوليكية... ومن هنا ظهرت محاكم التفتيش للبحث عن كل ما هو نهضوي واصلاحي"، وأسهمت عوامل عدة في تسارع انتقال النهضة، "منها ما قام به رسل النهضة الايطالية من جهود في نقل الحركة الإنسانية ونشرها إلى أنحاء أوربا، والى مجموعة الجيوش الأوربية التي دخلت ايطاليا... فضلاً عن مساعدة معظم حكام الدول الأوربية للنهضة في بلادهم"[156].

في حين تجاهل (د. شوقي عطا الله الجمل) وزميله (د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم) الوسائل المختلفة لتسرب النهضة الايطالية إلى أوربا، فيما عدا الانتقال السلمي لمعارف تلك النهضة باشره الأوربيون حين نقلوا ما تعلموه في ايطاليا إلى بلدانهم، ولم يقتصر الاقتضاب على هذه النقطة بل امتد إلى حد تجاوز حيثيات وانتقالات نهضوية مهمة منها لماذا خبت النهضة في ايطاليا مطلع القرن السادس عشر الذي تجاهله الباحثان[157].

وكان (د. نور الدين حاطوم) أكثر اقتضاباً من سابقيه حين أوجز أسباب اضمحلال النهضة في ايطاليا بأزمات متلاحقة في الجوانب كافة بدءاً بالاقتصادية مروراً بالعسكرية والسياسية[158].

ومع أن الدكتور جلال يحيى استرسل في وصف الحروب الفرنسية- الأوربية في ايطاليا أواخر القرن الخامس عشر وإبان القرن الذي تلاه، لكنه لم يشر إلى اثر تلك الحروب في انتقال النهضة خارج ايطاليا، واقتصرت رؤيته في انتقال النهضة حول التجارة والاتصال السلمي بين ايطاليا والدول الأوربية فحسب، مشيراً إلى أن "من الطبيعي أن يصل هذا التأثير إلى بقية أنحاء أوربا، نتيجة لاتصالها بكل هذه المناطق... ونتيجة لجذب هذه الحركة لعدد من المريدين والمعجبين الذين وجدوا لديهم الوقت للتزود من مناهل هذه الحركة الإنسانية، والثقافية والحضارية... كما أن عدداً من الفنانين الايطاليين... انتشروا في أرجاء أوربا، وخاصة الوسطى والغربية وتركوا لهم أثاراً هناك "، وانفرد (د. جلال يحيى) في انه لم يُحمل الحروب التي حصلت في ايطاليا مسؤولية اضمحلال نهضتها مبيناً أن

الأفكار النهضوية الايطالية لم تتمكن من منافسة الإبداعات النهضوية في فرنسا وانكلترا وسواهما، فأمست بلا جدوى، أي أن انتهاء النهضة الايطالية يعود إلى مكامن ضعف في تركيبتها قبل أي شي أخر[159].

ولو استرسلنا في بيان آراء مزيد من مؤرخينا العرب حول الموضوع لوجدناه يدور في الحلقة ذاتها، وهي آراء على الرغم من جدية بعضها وعمقه لكنها تجاهلت بعض النقاط المهمة حول فرضيتي المبحث المتعلقتين بانتشار النهضة خارج ايطاليا، وانتهائها بعد مدة وجيزة من انتشارها، ومن ثم فأن ألغازاً كثيرة اخفت خصائص أساسية في هذا الموضوع، وأبقت في اللوحة عناصر غير واضحة، لو استقرأنا أبعادها لوصلنا حقائق وقرائن كثيرة لتفسير مسألتي انتشار النهضة واختفائها، منها عدم وجود نظام سياسي مستقر في ايطاليا يتعهد النهضة بالرعاية والاهتمام، وانشغال الدويلات الايطالية بصراعات أشغلتها عن الاستمرار في مضامير النهضة، وانتفاء الكثير من الخصائص التي جعلت من ايطاليا مهداً للنهضة كالجانب التجاري الذي تعرض لضربات متلاحقة لاسيما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح الذي وجه ضربة مميتة إلى تجارتي جنوا والبندقية وقضى على شطر مهم من الرفاه الاقتصادي الذي كان من المنطلقات الأساسية للنهضة، واللافت أن البحارة الايطاليين هم الذين قادوا الاكتشافات الجغرافية لصالح اسبانيا والبرتغال وسواهما، ليثبتوا أن معارفهم البحرية كانت السبب الأبرز في خنق وطنهم استراتيجياً، ومما أضاف زخماً إلى كل ذلك؛ استحواذ الدول الأوربية على ايطاليا، ووصايتها على قرارها السياسي، وتسلط البابوية بمعونة الإمبراطورية الرومانية المقدسة على أفكار النهضويين ونتاجاتهم بالصورة التي وضعت قيوداً شديدة على حرية الفكر، وإذا ما أضفنا إلى ذلك ظهور الخطر العثماني الذي هدد الدويلات الايطالية أكثر من مرة، أدركنا أن ايطاليا افتقدت القدرة على الخوض قدماً في علومها وآدابها النهضوية، ما دفعها رغماً عنها إلى نقل تلك العلوم لبلدان أوربية أخرى امتلكت قراراً سياسياً موحداً وسلطة مركزية وقوة عسكرية هائلة ورغبة في الإفادة العملية من علوم النهضة وفنونها، لاسيما بعد نجاح بعضها في الاستكشافات الجغرافية التي منحتها موارد مكنتها من ولوج الكثير من أسرار وخفايا العلوم والأفكار الجديدة.

سادسا. انعكاس دراسة تاريخ النهضة الايطالية في تلمس ملامح مشروع نهضوي عربي:

لم يكتف المؤرخون العرب باستعراض ملامح النهضة بل دعوا إلى الإفادة منها للانطلاق قُدماً في نهضة عربية على غرارها، ولعل في ما أورده كل من: حسن حنفي، سيار الجميل، العلاف، والجواري، دليلاً، فلخص (د. حسن حنفي) مشروعه في قراءة الاستغراب بالقول: لست "رافضا للغرب،

متقوقعا على الذات، لكني فقط أدعو إلى إبداع الأنا في مقابل تقليد الآخر، وإمكانية تحويل الآخر (الغرب) إلى موضوع للعلم بدلا من أن يكون مصدرا للعلم"[160].

ويؤكد (د. إبراهيم العلاف): "أن ما حققه عصر النهضة الايطالي في أوربا لم يستطع عصر النهضة العربي تحقيقه وهذا يفسر أسباب التراجع الفكري والاستبداد السياسي والتخلف العلمي الذي عاشته الأمة العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا. إن الأمر يحتاج إلى أكثر من ربيع... إننا بحاجة إلى ثورة تتأكد فيها قيمة الإنسان، ويعترف بموجبها بحريته وكرامته وبدوره في البنيان ومواجهة التعصب والتشدد والانغلاق والتواكل والركود والسلبية ونكران الآخر واستهجان آرائه وتسفيه منطلقاته"[161].

وتابعه (د. الجواري) فأكد أن النهضة الايطالية "مناسبة فريدة من نوعها في إجراء مقارنة مجدية وعملية بين واقعنا العربي وواقع المجتمع الأوربي قبل النهضة الايطالية وأثنائها, من خلال التشابه في كثير من الظروف أو الاختلاف في ظروف أخرى مع اختلاف ظروف الزمان والمكان, ودعوة لإعادة تقييم الأحداث وعكس صورتها الدراماتيكية على الواقع العربي من خلال العمل على تحقيق نهضة العرب التي ولدت متعثرة وظلت تراوح في مكانها لأنها تأثرت بمخرجات العقل الأوربي الذي قدم لها نماذج جاهزة للنهضة والتطور, ولم يحصل التغيير في الوطن العربي...، وظلت مظاهر التخلف نفسها مع حالة التمتع بنتاج الحضارة الأوربية ومقتنياتها، فظل العقل والفكر عند العامة متحجرا صامدا أمام رياح التغيير التي هبّت أولا من الخارج ومن تأثير دعوات العقول العربية المتحررة، لهذه الأسباب نعتلي صهوة جموحنا الفكري الوثّاب صوب النهضة والثورة في أوربا، وننعش عقولنا الطامحة في التزود بشحنات من أحداث التغيير في عصر النهضة من أجل تحقيق التغيير المطلوب في بلادنا, سواء من منطلقات قطرية أو إقليمية أو عربية حالمة قد لا تمت للواقع في صلة"[162].

وكان للدكتور (سيّار الجميل) آراء قريبة من ذلك، فخلص إلى القول: "إن دراستنا للظواهر النهضوية الحديثة في التاريخ العالمي الحديث، ينبغي أن تتعمق ليس من اجل التغنّي بذلك، أو التمثل بتلك، أو الإعجاب والانبهار بذاك كما أسمى ذلك بعض الكتاب العرب... بل للتعلم منه في مسارين اثنين أولهما المسار النهضوي الحضاري والثقافي والفكري والفلسفي والعلمي، وثانيهما المسار السياسي في هيمنته وقوته وجبروته وما فعله بالعالم والشعوب"، لكنه يرى أن: "إسهامات المؤرخين العرب في دراسة عصر النهضة الايطالية الحديثة... متواضعة وقليلة"[163]، ومع توافق (د. عبد المناف النداوي) مع آراء المؤرخين المتقدمين لكن حكمه كان قاسيا على إسهامات المؤرخين العراقيين الرواد حول تاريخ أوربا التي كانت بحسب النداوي قليلة وذات طبيعة منهجية، بعكس مؤلفات

المؤرخين المصريين الرواد التي عدّها أكثر تنوعاً ورصانة رفدت المكتبة العربية برصيد نوعي من المؤلفات حول تاريخ أوربا[164].

سابعا. ملامح المشروع النهضوي العربي. رؤية للمستقبل:

وإذ يتفق الباحث مع من ذهب إلى قلة هذه الدراسات، فهو يعتقد بالحاجة لمزيد من الدراسات الرصينة، التي يمكن أن تتحول إلى أفكار تضع ثوابت لرؤية تاريخية مبتكرة تتناول أحداث التاريخ، ومنها عصر النهضة بصورة تغاير الدراسات النمطية وتدشن منهجا علميا عربيا متمايزا عن سواه، فضلاً عن محاولة استلال عصارة تجربة النهضة الايطالية وإعادة إنتاجها بالصورة التي تطلعنا على منجزات العقل الأوربي وكيفية تغلبه على العقبات التي واجهتها أمم الغرب، والإفادة منها ومن سواها في وصول أوربا إلى ما هي عليه الآن. كما أن مثل هكذا جهود تعطي كتاباتنا التاريخية وقعاً وتجعل منها وعاءً نرتشف منه الحقائق التاريخية والإفادة منها، فضلاً عن جعل هذه الفكرة مناسبة لوضع ثوابت مدرسة تاريخية عربية محددة الأبعاد واضحة المعالم.

اثبت المؤرخون العرب في دراستهم تاريخ الغرب تأثرهم بصورة أو بأخرى بحاضناتهم المعرفية الغربية عموماً، وتفسيراتهم، لذا فإنهم –خلا قلة منهم– درسوا الغرب في محاكاة تامة لنظرائهم الأوربيين، وتأثروا في تفسيراتهم ورؤاهم بالمدارس الغربية، فشكّلوا نسخة مكررة عن الغرب مشبعة بروح الاقتباس منه، مفتقدة أصالة الصورة الغربية التي هي وليدة بيئتها وظروفها، فإنهم عموماً كانوا سرديين في تناولها، كما أن تحليلاتهم كانت نمطية لم تغر بعيداً في تقصي النهضة ومظاهرها، وهي غالباً لم تعكس رؤية معاصرة متميزة عن النهضة بعد حوالي خمسمئة عام من حدوثها، فتراكم الخبرة الإنسانية ووضوح أبعاد تلك النهضة وإرهاصاتها بعد هذا الفاصل الزمني يعطينا تفوقاً حتى على رواد النهضة، فضلاً عن أن انعكاسات خصوصيتنا القومية والحضارية على آرائنا تعطينا قدرة على رؤية مغايرة للحدث، وإذا كانت دراسة التاريخ تعطي قوانين مفيدة للمجتمعات فالأحرى بمن يسبروا أغوار التاريخ أن يأتوا بأفكار مفيدة لمجتمعاتهم. لكن الجهد الفكري العربي في هذا المجال أشّر وجود آراء قيمة ودراسات معمقة في هذا المجال، على أن الباحث حاول الوصول إلى الجهد التاريخي العربي الخاص بعصر النهضة كله، ولصعوبة ذلك استعاض عنه بالاستبيان، فشخّص آراء وتقييمات ممتازة، وتحليلات رائعة ابتعدت عن الأسلوب السردي الشائع، كما أشرت الدراسة وجود دراسات معمقة في مجال الاستغراب ودراسة الغرب، لعل في مقدمتها قراءات (د. حسن حنفي) الذي حلق بعيداً في منهج الاستغراب انطلاقاً من الخصوصية الحضارية للعرب، ودراسات (د. الطيب تيزيني) الذي ناقش بعض

جوانب الاستغراب، الأمر الذي خلق بداية موفقة لتوجه حقيقي نحو منهج الاستغراب. ومشروع (د. محمد عابد الجابري) الذي دعا في ضوء دراسة العقل العربي إلى إعادة هيكلة هذا العقل كخطوة أولى نحو بناء عقل ناقد خلاق يتمثل التجارب الماضية لنا ولغيرنا ومن ثم ينطلق في مشروع نهضة عربية معاصرة لا تتردد في استحضار تجارب شرقية مهمة كتجارب اليابان وكوريا الجنوبية وماليزيا وغيرها، فضلا عن دراسات (د. كمال مظهر) التي حاولت تقديم رؤية واعية للغرب ومفكريه بعيدا عن التقييمات الجاهزة، فلم يتردد وهو المفكر التقدمي أن يقدم للقارئ العربي لمحات وأضواء منصفة لرجال النهضة حتى لو كانوا من البابوات ورجال الكنيسة، وكان يدعو في كتاباته إلى الثقة بالنفس والتراث وإمكانات الأمة ومحاربة الانهزامية واحتقار الذات والاتكالية. لكن هذه الجهود تظل فردية ولم تشكل حركة مؤثرة في حياة الناس اليومية حتى وإن وجدت أصداءً بين صفوف بعض المثقفين.

عليه من المبكر القول أن المنظومة المعرفية العربية استكملت أدواتها، فما عدا ما تقدم من نماذج وغيرها القليل، فمنظومتنا ما زالت هشة، مقتبسة، مقلدة، واقعة في خطر محاكاة معارف الغرب وأساليبه دون النظر إلى توافقها مع الخصوصية الحضارية للعرب والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتمايزة عن تلك التي في الغرب، بالشكل الذي لا يؤطر لبدء نهضة خاصة بالعرب، ويبقي الأثر الحضاري بكل تفاصيله بيد الغرب، على أساس أن الفرد العربي أسير نظامه القائم على فكرة النمط الواحد على غرار الديكتاتور الواحد والنسق المعرفي الواحد واللباس الموحد، ما يؤدي إلى أن يذوب مفهوم الفرد وخصوصيته في شخصية الجماعة المتشابهة الخانعة المطيعة للاستبداد، وتتعدد صور المستبد فتنتقل من النظام السياسي إلى النسق المعرفي حتى أضحت دراساتنا العلمية متناغمة مع علوم الغرب وخاضعة لتطوراتها وقوانينها، دون مراعاة الخصوصية الوطنية والقومية، فالمثقف العربي يستنبط أفكاره من خارج مجتمعه وليس من الهموم اليومية للمجتمع الذي ينتمي إليه كي نقدم معالجات جديدة لا أن نعيد اجترار المعلومات القديمة.

والأمرّ من ذلك أن ثقافتنا وتناولنا للأمور التاريخية في الغالب مجرد رد فعل لمناهج الغربيين، وهو ما لمسناه في تناول شطر مهم من مؤرخينا للنهضة الايطالية التي لم تعد كونها ترديدا لما أورده الغربيون دون التطرق إلى الأسباب ونتائجها، والتفاسير ومنطلقاتها، والعلل وحيثياتها ومداها، والأسوأ أن مغايرة مؤرخينا لهذه القاعدة يتمحور في عزو فضل ما وصله الأوربيون من تطور إلى العرب ومؤلفاتهم، والخوض في ذلك حد الإسفاف، دون التساؤل عن سر إبداع الغرب؟ وقدرة النهضويين على اجترار علومهم وتطويرها؟ في الوقت الذي فقد فيه العرب زمام المبادرة ولم يتمكنوا من هضم علومهم؟ ولماذا فرطنا في تلك العلوم ولم نطورها؟ وتمكن الايطاليون من استخدامها في رفد نهضتهم؟ فلمن

الفضل؟ لعلوم العرب، أم لمن طورها حتى أوصلته إلى ما هو عليه الآن؟ والأغرب من ذلك أن المؤكدين على اثر العرب في النهضة الايطالية، يحاكون أبعاد النهضة ومظاهرها ونتائجها في تأثر تام بالغرب وطروحاته، بالصورة التي تجعلهم مقلدين له، ولا يمتلكون رؤية محددة مهما كانت بسيطة لدراسة الغرب بصورة مبتكرة تدشن صحوة نهضوية عربية تعتمد التلاقح مع الغرب لا الاجترار منه وتقليده. ومع أنهم يذكرون أن النهضة الايطالية رفدت نفسها فيما بعد بوسائل منها الاستشراق واستشراف الشرق وكنوزه، إلا أنهم لا يمتلكون رؤية حول استشراف الغرب وكنوزه؟ أو على الأقل إعادة تمحيص كنوز الشرق ومعارفه، واستخدام وسائل جديدة ناجعة في دراسة الغرب، من بينها الاستغراب علّه يحول دون الاحتكار الحضاري للغرب إلى التفاعل الحضاري ولو بنسبة ضئيلة، فمن يخبرنا أن المسلمين كانوا كذا وكذا، يبين انه عصر ولى وانتهى، ومهمتنا الآن محاولة البدء من جديد بدراسات رصينة للغرب وانجازاته على الصعد كافة.

وهذا يقودنا إلى ماهية الاستغراب وحيثياته، فهو لا يتم إلا بهكذا منهجية وبناء إستراتيجية بحث علمي وطنية أو قومية قائمة على التخطيط والمنهجية وليس على الاجتهاد والعشوائية، فتكون محددة المعالم والأهداف والوسائل، وتبدأ من المراحل الابتدائية وصولا إلى الجامعات والمؤسسات الأكاديمية العربية التي ينبغي أن تحول جميعها إلى ورشات ومراكز بحث حقيقية ومغادرة مرحلة التلقين والتدريس العقيم وتحويل النجاح الفردي العربي في استعارة مناهج العلم وطرقه لتطبيقها على الأدب والعلوم الإنسانية، وفي دراسة بعض النظريات الفكرية والفلسفية، باستخدام تلك المناهج وتطبيقها في المجال العلمي والدخول إلى عالم التقنيات الحديثة المنتج المنطلق من حاجات المجتمع بما يضمن الإفادة من مخرجات هذه البحوث تقنيا واقتصاديا، كي تشكل بذلك نقلة نوعية جديدة، باستقطاب رأس المال الخاص لدعم العلوم وتبنيها، والانطلاق نحو أسواق العمل والبضائع[165]. وهي إلى حدٍ ما تحتاج إلى أن تُستَنْبَتْ في حاضنة معرفية عربية لها مناهجها ومدارسها كي تخرج رؤى ناضجة ومثمرة ومتمايزة عن الأخر لا كتحد، لكن كتراث بشري يتفاعل مع الأخر ليبرز لنا أفكارا جديدة وحقائق وإن غلبت عليها النسبية التي لا غنى عنها للاستمرار في البحث العلمي.

كما يشترط في منهجية البحث المطلوبة أن تقوم أولا على احترام الآخر ونقد الذات بقوة قبل كل شيء، على أساس أن الإنسان بحاجة إلى النقد من الخارج ومن الداخل مهما كان موقفه أو وظيفته الاجتماعية أو الهيأة التي ينتمي إليها، وأن غياب النقد يؤدي إلى الانحطاط حتى الحضيض، كما تقوم هذه المنهجية على التعلم من الأخطاء والعمل على تصحيحها. هنا لا بد أن نعرج على حقيقة مهمة تتلخص في أننا ينبغي أن لا نبني علاقاتنا بالغرب على أساس المشاعر لأنها لا تبني مجتمعا، فيجب

أن نمد يدنا إليه طلبا لما نحتاج من معرفة متوافرة لديهم. كما لا بد أن تتوفر ضمانة اجتماعية لقدسية البحث العلمي ومرجعية العقل وحرية العلماء وحمايتهم، وإبعاد مؤسساتنا العلمية عن التنافس والصراع السياسي والإيديولوجي الذي دمّر المال وحجّم العقول وأدى إلى الاستسلام والنمطية. هذا إلى جانب ضرورة توفير الدعم المادي للبحث العلمي عن طريق تخصيص نسب معقولة من الميزانيات تتناسب مع ضخامة الأموال التي تصرف في الأبواب التشغيلية الأخرى، وصولا إلى المستويات التي ترصدها الدول المتقدمة تكنلوجيا.

ملحق

أستاذنا الفاضل الدكتور ..... المحترم.

بعد التحية ومزيد الاحترام:

أنا باحث من جامعة واسط, أروم إعداد بحث عن موضوعة "الاستغراب وآراء المؤرخين العراقيين في النهضة الايطالية مقارنة بالمؤرخين العرب في ضوء الدرس التاريخي الجامعي". وقد وقع اختياري على حضرتكم إلى جانب عدد آخر من المؤرخين العراقيين لأخذ رأيكم بهذا الموضوع بغية إغناء دراستي بما عرف عنكم من ألمعية وتميز. راجيا الإجابة الموجزة عن كل سؤال بما تتمكنون مع الإشارة قدر الإمكان لكل ملاحظة أو فكرة لمصدر يعود لسيادتكم (كتاب، بحث، محاضرة مطبوعة، محاضرة شفهية ومكان ووقت إلقائها). مع التقدير.

س1. ما هي الفائدة التي يجنيها المؤرخ العربي من دراسة تاريخ النهضة الايطالية؟

س2. لماذا بدأت النهضة في ايطاليا دون سواها من بلدان أوربا، على الرغم من قربها من الكنيسة (مركز الظلامية الأوربية في العصر الوسيط)؟

س3. ما هي أبرز خصائص النهضة الايطالية برأيكم؟ وأبرز أعلام النهضة الذين أثروا في نجاحها؟ وأبرز نتائج هذا العصر؟

س4. ما هو تقييم سيادتكم لإسهامات المؤرخين العراقيين الرواد في دراسة عصر النهضة؟

س5. هل من تقييم أو إشارة لإسهامات المؤرخين العرب في هذا المجال وهل من مقارنة مع الجهد العراقي؟

هوامش البحث:

(1) أعلن مؤتمر عقدته المنظمة الدولية للمستشرقين في باريس عام 1973 نهاية الاستشراق واستنفاذ أغراضه، وبعد نقاش وتصويت بين المستشرقين على تغيير اسم المنظمة وتسميتها، تحول إلى "المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا"، وعقد تحت هذا الاسم مؤتمران. علي حرب، الأنا والآخر بين الاستشراق والاستغراب، عكاظ (جريدة)، العدد 11603، 29 أيار 1998.

(2) المثاقفة: تبادل الثقافة بين الأفراد والشعوب على كافة مستويات التّأثر والاستيعاب والتمثل والتعديل والرفض من وجهة النظر النفسية الاجتماعية أو الأنثربولوجية أو التاريخية.

(3) عمر البو جمال بن جاس، الاستغراب (مقابلة الاستشراق) دعوة لدراسة الغرب، مركز واتا للدراسات الشرقية، 19شباط2012، موجود على الانترنت:

http://www.wata.cc/forums/archive/index.php/t-93332.html?s=14e52534512b7567ee3e14beaabea824

(4) نقصد بالشرق هنا جزأيه الأدنى والأوسط، وهما ساحة النشاط الحضاري العربي الإسلامي، وهما يختلفان تاريخيا وحضاريا عن الشرق الأقصى (مناطق شرقي آسيا)، التي من بينها الصين واليابان وكوريا الجنوبية والهند التي غادرت منذ عشرات السنين هذه المرحلة التي تتحدث عنها الدراسة، فاليابان اليوم ثالث قوة اقتصادية في العالم، وتحتل المركز الثاني عالميا صناعيا بعد الولايات المتحدة الأمريكية، فيما احتل الاقتصاد الصيني المرتبة الثانية بعد اقتصاد الولايات المتحدة، بعد أن سبقت اليابان في عام 2010. فيما الهند صاحبة ثالث اقتصاد آسيوي، تمتلك ثاني عشر أكبر اقتصاد في العالم، أما كوريا الجنوبية فهي رابع اقتصاد في آسيا والخامسة عشرة عالميا. وهذه الانجازات الاقتصادية كانت نتيجة مشاريع حضارية واثقة.

(5) يراجع للتفصيل: حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ط2، القاهرة، 2000.

(6) حسن حنفي، المصدر السابق، ص 697 وما بعدها.

(7) محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط2، بيروت، 1985، ص70-105.

(8) تراجع للاطلاع على الإشكالات التي شخّصها الآخرون على مشروعه: طيب تيزيني، من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي. بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية، دمشق، 1996، ص55.

(9) طيب تيزيني، المصدر السابق، ص78 - 80.

(10) المصدر نفسه، ص114.

(11) يراجع للتفاصيل: احمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب. حوار الاستشراق، القاهرة، 1999.

(12) احمد الشيخ، المصدر السابق، ص15.

(13) عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، القاهرة، 1999، ص 7.

(14) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، الإسكندرية، 1992، ص11.

(15) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة، القاهرة، 2000، ص 7 - 8.

(16) عبد العزيز نوار ومحمود جمال الدين، المصدر السابق، ص 8.

(17) جوزيف نسيم يوسف، نهاية العصور الوسطى الأوربية والنظريات التي قامت حولها، مجلة المؤرخ العربي، العدد السادس، بلا، ص 117.

(18) المصدر نفسه، ص 117 - 118.

(19) هاشم صالح مهدي التكريتي، محاضرات في تاريخ عصر النهضة في أوربا (مخطوطة)، ألقيت على طلبة البكالوريوس قي كلية الآداب/ جامعة بغداد، للعام الدراسي 1975/ 1976، ص5-7.
(20) هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص8-9.
(21) المصدر نفسه، ص9.
(22) يراجع للمزيد: برتراند رسل، حكمة الغرب، ترجمة: فؤاد زكريا، الكويت، 1983، الجزء الأول، ص266-223.
(23) هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص9-10.
(24) فلاح حسن الأسدي، منهج بوركهارت في دراسة النهضة الايطالية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثالث والأربعون، 1990، ص 84.
(25) إبراهيم خليل العلاف، درس النهضة الأوربية وموقف المؤرخين العراقيين والعرب منه.
www.dr-ibrahim-all-allaf.com
(26) عبد المناف شكر النداوي، مقالة قُدمت رداً على استبيان قدمه الباحث.
(27) اسعد زيدان الجواري، مقالة قُدمت رداً على استبيان قدمه الباحث.
(28) المصدر نفسه.
(29) عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص 19.
(30) علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، بغداد، 1990، ص29-35.
(31) حسن حنفي، المصدر السابق، ص 92 - 93.
(32) المصدر نفسه، ص 103. هناك مقالة ممتازة عن ابيلارد على شبكة الانترنت، يمكن مراجعتها:
http://www.ahewar.org/m.asp?i=1065
(33) هاني المبارك وشوقي أبو خليل، دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية، دمشق– بيروت، 1996، ص34-36.
(34) المصدر نفسه، ص40.
(35) أشكل أحد الباحثين على أصالة أفكار ابن خلدون وريادته للمجالات التي خاض فيها. يراجع: محمود إسماعيل، نهاية أسطورة. نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل أخوان الصفا، القاهرة، 2000.
(36) هاني المبارك وشوقي أبو خليل، المصدر السابق، ص41 - 46.
(37) المصدر نفسه، ص87-120.
(38) المصدر نفسه، ص51 - 56.
(39) يراجع للتفصيل: عبد الجليل شلبي، حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوربية، مجلة الأمة، العدد 27، ربيع الأول 1403.
(40) زكي صالح وآخرون، التاريخ الحديث، ط6، بغداد، 1956، ص73 - 75.
(41) أيوب أبو دية، علماء النهضة الأوربية، بيروت، 2011؛ أيوب أبو دية، العرب صنعوا نهضة أوربا. صحيفة الأخبار (عمّان)، العدد 1555 في 4 تشرين الثاني 2011.
(42) جورج صليبة، الفلك العربي الإسلامي من المنظور الأوربي وتعدد الثقافات، (محاضرة)، الإسكندرية، 29 حزيران 2010. منشورة في موقع صوت الإسكندرية الالكتروني:
http://www.soutalex.com/home/alexandria-bibliotheca/3303.html
(43) يراجع للتفصيل: عباس محمود العقاد، اثر العرب في الحضارة الأوربية، القاهرة، بلا.
(44) ولد سنة 1951 بخريبكة المغربية وهو أستاذ فلسفة الاجتماع بالمدرسة العليا للأساتذة بمارتيل (تطوان)، له عدد من الكتب والدراسات.
http://uemnet.free.fr/guide/alif/alif018.htm

(45) عثمان اشقرا، النهضة بين التمركز الذاتي الأوربي والمشترك الإنساني العام، موقع الأوان الإلكتروني، الأحد 24 كانون الثاني (يناير) 2010،

http://www.alawan.org .

(46) المصدر نفسه.

(47) نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوربية، دمشق، 1985، ص74- 75.

(48) عثمان اشقرا، المصدر السابق.

(49) سيار الجميل، النهضة الايطالية وفلسفة قراءتها، مقالة قُدمت رداً على استبيان قدمه الباحث.

(50) ميلاد المقرحي، تاريخ أوربا الحديث 1453-1848، بنغازي، 1996، ص19-23.

(51) نعيم فرح، الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، دمشق، 2000، ص364.

(52) جلال يحيى، أوربا في العصور الحديثة. الفجر، الإسكندرية، 1981، ص266-269.

(53) ليلى الصباغ، معالم تاريخ أوربا في العصر الحديث، ط4، دمشق، 1998، ص29-30.

(54) كمال مظهر احمد، النهضة Renaissance، بغداد، 1979، ص8-9.

(55) المصدر نفسه، ص12.

(56) المصدر نفسه، ص 13.

(57) ضمد كامل وسمي، النهضة الأوربية وقضية الحرية، إصدار منتديات ليل الغربة، نيسان 2009، ص10-11.

(58) المصدر نفسه، ص 11 - 16.

(59) المصدر نفسه، ص17، 11 .

(60) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص 66.

(61) زكي صالح وآخرون، المصدر السابق، ص76؛ عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص 10-20؛ عبد العزيز نوار ومحمود جمال الدين، المصدر السابق، ص16-17؛ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص8-10؛ ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص 31.

(62) علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص 36 - 39.

(63) عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص 10-20؛ عبد العزيز نوار ومحمود جمال الدين، المصدر السابق، ص16-17؛ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص8-10؛ علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص36-39.

(64) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، الجزء الثاني "النظم والحضارة"، القاهرة، 1959، ص290 - 291.

(65) نعيم فرح، المصدر السابق، ص366. وهذه الجمهوريات هي مجموعة من دول المدن ازدهرت خلال القرون الوسطى، والرئيسة منها أربع هي: أمالفي وبيزا وجنوا والبندقية، تنافست مع بعضها عسكرياً وتجارياً فبنت بين القرنين العاشر والثالث عشر أساطيل بحرية للحماية ودعم التجارة في أنحاء البحر المتوسط، وكان لها دور في الحروب الصليبية.

(66) عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص 14.

(67) عبد العزيز نوار ومحمود جمال الدين، المصدر السابق، ص 17.

(68) يراجع للاطلاع على تفاصيل أكثر دقة عن أثر العامل الجغرافي في تفسير التاريخ: نوري جعفر، التاريخ. مجاله وفلسفته، ط2، بغداد، 2007، ص67-86.

(69) يراجع على سبيل المثال: شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص10؛ عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص17؛ ضمد كامل وسمي، المصدر السابق، ص 41؛ جلال يحيى، المصدر السابق، ص 269؛ ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص 31.

(70) عبد العزيز نوار ومحمود جمال الدين، المصدر السابق، ص 16.

(71) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص291 - 292.
(72) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، القاهرة، 1997، ص 10 - 24.
(73) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص 76.
(74) المصدر نفسه، ص 91.
(75) المصدر نفسه، ص 76 - 78.
(76) محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية 1500-1789، بغداد، 1982، ص71 - 73.
(77) هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص10-11.
(78) جلال يحيى، المصدر السابق، ص266-270.
(79) عبد القادر احمد اليوسف، العصور الوسطى الأوربية، بيروت، 1967.
(80) يقارن: شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص9؛ عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل احمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ط3، الرياض، 1993، ص 38 - 39.
(81) حسن حنفي، المصدر السابق، ص 172.
(82) إبراهيم خليل العلاف، المصدر السابق.
(83) عبد المناف شكر النداوي، المصدر السابق.
(84) عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل احمد ياغي، المصدر السابق، ص21 - 28.
(85) كمال مظهر احمد، النهضة، ص 17 - 20.
(86) الثالث هو بتراك كما سيرد لاحقا.
(87) كمال مظهر احمد، النهضة، ص 23 - 28.
(88) ضمد كامل وسمي، المصدر السابق، ص 32 - 44.
(89) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص292 - 303.
(90) عبد العزيز نوار ومحمود جمال الدين، المصدر السابق، ص 9-11.
(91) المصدر نفسه، ص 11 - 14.
(92) يراجع للمعلومات: ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص32-54.
(93) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص 13-24.
(94) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص49؛ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص16، 25-27.
(95) عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص20-36.
(96) جوزيف نسيم يوسف، المصدر السابق، ص 118 - 119.
(97) زكي صالح وآخرون، المصدر السابق، ص79 - 83.
(98) فلاح حسن الاسدي، المصدر السابق، ص 84.
(99) إبراهيم العلاف، المصدر السابق.
(100) ليلى الصباغ، المصدر السابق، ص31 - 35.
(101) محمد محمد صالح، المصدر السابق، ص 73 - 83.
(102) جلال يحيى، المصدر السابق، ص 260.
(103) For more information, see: John Addington Symonds, Renaissance in Italy: the revival of learning, New York, 1881; John Addington Symonds, Renaissance in Italy: the fine arts, London, 1882; George B. Rose, Renaissance masters : the art of Raphael,

Michelangelo, Leonardo da Vinci, Titian, Correggio, Botticelli and Rubens, London, 1908; W. H. Goodyear, Renaissance and modern art, New York, 1913; Philip Schaff, The renaissance : the revival of learning and art in the fourteenth and fifteenth centuries, New York, 1891.

(104) لقب أطلقه الروس على المثقفين قبل ثورة عام 1917.
(105) ضمد كامل وسمي، المصدر السابق، ص 18 - 31.
(106) حسن حنفي، المصدر السابق، ص 167 - 173.
(107) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص 23 - 25.
(108) كمال مظهر احمد، النهضة، ص 30 - 44.
(109) عبد العزيز نوار ومحمود جمال الدين، المصدر السابق، ص 24 - 25.
(110) المصدر نفسه، ص25-29.
(111) المصدر نفسه، ص18-24.
(112) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص14-18.
(113) المصدر نفسه، ص30-32.
(114) المصدر نفسه، ص33، 37.
(115) المصدر نفسه، ص39-42.
(116) المصدر نفسه، ص 10 - 12.
(117) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص 32 - 54.
(118) يراجع للتفصيل: نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص 83 - 138.
(119) المصدر نفسه، ص 82.
(120) عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص 22 - 27، 44 - 55.
(121) من المفيد بهذا الصدد مراجعة البحث الموسع: كمال مظهر أحمد، مكيافيللي والمكيافيلية، سلسلة الموسوعة الصغيرة، بغداد، 1984.
(122) عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص52.
(123) جوزيف نسيم يوسف، المصدر السابق، ص 119.
(124) المصدر نفسه، ص 118، 120.
(125) عمر عبد العزيز عمر ، المصدر السابق، ص36-43.
(126) زكي صالح وآخرون، المصدر السابق، ص 78 - 79. ذكرها د. نوار في مكان سابق من البحث.
(127) علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص 40 - 50.
(128) زكي صالح وآخرون، المصدر السابق، ص76 - 78 .
(129) يراجع لمزيد من المعلومات: محمد محمد صالح، المصدر السابق، ص 87 - 107.
(130) إبراهيم خليل العلاف، المصدر السابق.
(131) ليلى الصباغ، المصدر السابق، ص 35 - 41.
(132) المصدر نفسه، ص59.
(133) هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص11-12.
(134) فلاح حسن الاسدي، المصدر السابق، ص 86.
(135) كمال مظهر احمد، النهضة، ص 68 - 80 .
(136) ويقصد هنا دانتي الذي استخدم الشاعر الروماني الوثني فرجيل رفيقا له في رحلته إلى العالم الآخر، كمادة للكوميديا.

(137) كمال مظهر احمد، النهضة، ص 80 - 91.
(138) يراجع للتفصيل: كمال مظهر احمد، مكيافيللي والمكيافيللية.
(139) كمال مظهر احمد، النهضة، ص91-101.
(140) المصدر نفسه، ص101-121.
(141) حسن حنفي، المصدر السابق، ص 172.
(142) المصدر نفسه، ص172.
(143) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص304 - 305.
(144) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص 15 - 31.
(145) إبراهيم خليل العلاف، المصدر السابق.
(146) سيار كوكب الجميل، المصدر السابق.
(147) جوزيف نسيم يوسف، المصدر السابق، ص 120.
(148) كمال مظهر احمد، النهضة، ص46-65.
(149) عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص18 - 19.
(150) دَرَجَتْ المصادر التاريخية على تسميتها بذلك، لكن أحد الباحثين أشكل على هذا المصطلح، لأسباب منها أنه مجازي استخدم مطلع القرن التاسع عشر، وهو لا ينطبق على حقبة الصراع التي يضعها المؤرخون بين عامي 1337 و1453، لأنها تبلغ 116 عاماً لا مائة عام، كما أن هذه السنوات لم تكن حروبها متصلة، بل تخللتها مراحل سلام بلغت عشرات السنين، ثم أن المرحلة الأولى منها 1337-1377 تميزت بظروف وشخوص ومضامير اختلفت تماماً عن المرحلة المتأخرة 1415-1453 في الكثير من الأشياء، فضلا عن أن الفاصل الزمني بين المراحل المتقدمة والمتأخرة مما يُعرف بحرب المئة عام له أشباه ونظائر نستطيع بسهولة من خلالها مد الحرب إلى أكثر من مائتي عام، فعلى سبيل المثال هناك حروب انكلو ـ فرنسية خلال السنوات 1294-1303، تخللتها حقب من الهدوء والتوتر حتى عام 1337، ومما يضيف زخماً إلى ذلك إن المؤرخين الذين عاصروا الحروب بين انجلترا وفرنسا في القرن الرابع عشر والقرون اللاحقة لم يعرفوا هذا المصطلح مطلقاً، وكانوا يعبرون عما يجري بين البلدين بمعركة، صراع، هدنة ... الخ، كما أن مصطلح حرب المئة عام فضلاً عن حداثته لم يستند إلى أسس موضوعية وقرائن علمية، بقدر ما استند إلى جوانب سياسية وقومية. حسنين عبد الكاظم عجة الشمري، الصراع الانكليزي ـ الفرنسي ومواقف القوى الأوربية منه 1337 – 1377، أطروحة دكتوراه، جامعة واسط- كلية التربية، 2012، ص3.
(151) عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص22 - 23.
(152) يراجع للتفصيل:عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص36 - 43.
(153) عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص36.
(154) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص63 - 65.
(155) المصدر نفسه، ص29.
(156) عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل احمد ياغي، المصدر السابق، ص43.
(157) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص10 - 11.
(158) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص140.
(159) جلال يحيى، المصدر السابق، ص306 - 308.
(160) حسن حنفي، المصدر السابق، ص5.
(161) إبراهيم خليل العلاف، المصدر السابق.
(162) أسعد الجواري، المصدر السابق.
(163) سيار كوكب الجميل، المصدر السابق.
(164) عبد المناف شكر النداوي، المصدر السابق.

(165) طبقا لإحصائيات اليونسكو لعام 1999، يعد القطاع الحكومي العربي الممول لحوالي 80٪ من مجموع تمويل البحوث والتطوير، مقارنة بـ3٪ للقطاع الخاص، و7٪ من مصادر مختلفة، على عكس الدول المتقدمة فتبلغ حصة القطاع الخاص من تمويل البحث العلمي في اليابان70٪ ، وفي إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية52٪. وتنفق إسرائيل على البحث العلمي نسبة 4.7 % من الدخل القومي، ما يعادل كل نفقات الدول العربية جميعها، وتشير إحصائيات اليونسكو لسنة 2004م ، إلى أن الدول العربية مجتمعة خصصت للبحث العلمي ما يعادل 1.7 مليار دولار فقط، أي ما نسبته 0.3% من الناتج القومي الإجمالي. نقلا عن: نهال قاسم، إشكاليات البحث العلمي في الوطن العربي، شبكة الأخبار العربية ANN، على الموقع الالكتروني:

http://www.anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=5693